الباب الثالث

الموضوعات التي تناولتها مقدمات التفاسير

الموضوع الأول: نزول القرآن

الموضوع الثاني: جمع القرآن وترتيبه

الموضوع الثالث: رسم المصحف ونقطه وشكله ووضع الأخماس والأعشار

الموضوع الرابع: سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه

الموضوع الخامس: أسماء القرآن وأسماء سوره

الموضوع السادس: فضائل القرآن وخواصه وآداب تلاوته

الموضوع السابع: المكي والمدني

الموضوع الثامن: التفسير والتأويل

الموضوع التاسع: بيان شرف التفسير والحاجة إليه

الموضوع العاشر: أوجه التفسير وطرقه وأنواعه

الموضوع الحادي عشر: العلوم التي يحتاجها المفسر

الموضوع الثاني عشر: مراتب المفسرين

الموضوع الثالث عشر: الاختلاف بين المفسرين وقواعد الترجيح

الموضوع الرابع عشر: الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن

الموضوع الخامس عشر: الظهر والبطن والحد والمطلع

الموضوع السادس عشر: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب

الموضوع السابع عشر: الوقف والابتداء

الموضوع الثامن عشر: إعجاز القرآن

obeikandl.com

obeikandl.com

الموضوع الأول

نزول القرآن

تناول هذا الموضوع في مقدمة تفسيره عبد الرزاق الصنعاني[١]، وابن الجوزي[٢]، والخازن[٣]، وابن جزي[٤].

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في اليوم الذي أُنزل فيه القرآن[٥]:

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٦٠.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٥-٦.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ١٠.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ٦.

(٥) ذكر ابن القيم وغيره أن القرآن نزل يوم الاثنين، من غير خلاف بين العلماء في ذلك، وزاد البلقيني فقال: نهاراً، فقد سئل رسول اللّه ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب: استحباب صيام ثلاثة أيام: ٢/ ٨١٩، عن صوم يوم الاثنين، فقال: ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بُعثتُ «أو أنزل عليَّ» فيه.

أما الشهر الذي أنزل فيه فقد اختلف العلماء في تحديده، فقيل: رمضان، وقيل: رجب، وقيل: ربيع الأول. والراجح أنه رمضان، قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر: ١] وقال تعالى: ﴿إنا إنزلناه في ليلة مباركة﴾ [الدخان: ٣]،قال العلماء: كان ابتداء نزول القرآن في=

روى عبد الرزاق بسنده قال: حدثنا معمر عن أبان بن أبي عياش عن أبي العالية قال: نزلت الصحف في أول يوم من شهر رمضان، ونزلت التوراة لست، ونزل الزبور لاثني عشر منه، ونزل الإنجيل لثمان عشرة، ونزل الفرقان لأربع وعشرين من شهر رمضان.(١)

المسألة الثانية: في كيفية إنزاله:

أنزل اللَّه القرآن المجيد من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليلة القدر

= ليلة القدر من شهر رمضان. انظر في ذلك: طبقات ابن سعد: ١/ ١٩٤ - وزاد المعاد لابن القيم: ١/ ٧٧ - والسيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي: ١/ ٢٣٧ - والسيرة الشامية للصالحي: ٢/ ٣٠٣ - وفتح الباري لابن حجر: ١٢/ ٣٥٦ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: ١/ ٢٥٠ تحقيق محمد صفاء حقي.

(١) تفسيره: ١/ ٦ وأبان بن أبي عياش هو (أبان بن فيروز) متروك الحديث، قاله أحمد والنسائي وغيرهما، انظر: الضعفاء الكبير للعقيلي: ١/ ٣٨ - وتهذيب الكمال للمزي: ٢/ ١٩ - وميزان الاعتدال للذهبي: ١/ ١٠ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١/ ٩٧ والأثر أخرجه ابن جرير بإسناده عن واثلة بن الأسقع، وليس فيه ذكر «الزبور»، وفيه: «الإنجيل لثلاث عشرة خلت» قال أحمد شاكر: هو إسناد صحيح. تفسير الطبري بتحقيق شاكر: ٣/ ٤٤٦ - وأخرجه أحمد في المسند: ٤/ ١٠٧ - وأبو عبيد في فضائل القرآن: ٣٤٤ - ومحمد بن نصر في قيام الليل كما في المختصر للمقريزي: ٣٢١ - والبيهقي في الشعب: (ح٢٧٧ - ٢/ ٥١٠) - وانظر الإتقان للسيوطي: ١٣٣ط البغا.

قال الحافظ ابن كثير في السيرة (١/ ٣٩٣): وهو الراجح، وإليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين فقالوا: إن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين.

جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك مفرقاً على لسان جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ مدة رسالته عند الحاجة وحدوث ما يحدث على ما يشاء اللَّه تعالى[١].

فقد أخرج عبد الرزاق بسنده عن سعيد بن جبير قال: نزل جبريل بالقرآن جملة واحدة ليلة القدر [....][٢] النجوم من السماء في بيت العزة، فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ رتباً[٣].

وروى عكرمة عن ابن عباس - رضي اللَّه عنه - قال: أُنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر إلى بيت العزة، ثم أُنزل بعد ذلك في عشرين سنة.[٤]

---

(١) انظر: تفسير الخازن ١/ ١٠.

(٢) بياض في الأصل، والمطبوع..

(٣) أخرجه في تفسيره: ١/ ٦٠، وهذه الرواية وإن كانت موقوفة إلا أن لها حكم الرفع.

(٤) ذكره ابن الجوزي في تفسيره: ١/ ٥ - وأخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٢٢٢ وقال: حديث صحيح ولم يخرجاه، وأقره الذهبي. - والبيهقي في الأسماء والصفات: ٢٣٥، - وفي الشعب: (ح٢٧٧ - ٢/ ٥١٠) - وابن جرير في تفسيره ٣٠/ ٢٥٨، - وانظر المسألة في الزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: ١/ ٢١٤ تحقيق محمد صفاء حقي.

وقد اختلف العلماء في كيفية إنزال القرآن من اللوح المحفوظ على أربعة أقوال:

الأول: أنه نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجماً، وهذا القول هو أصح الأقوال وأشهرها، وبه قال جماعة من العلماء منهم الزركشي وابن=

=حجر والسيوطي.

الثاني: أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة القدر، أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين، في كل ليلة ما يقدر اللَّه تعالى إنزاله في كل السنة، ثم ينزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة. وهذا منسوب إلى مقاتل بن حيان والحليمي والماوردي. قال الطبري: وهو خلاف ما نقل عن الإجماع.

الثالث: أن ابتداء إنزاله في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة. وبهذا قال الشعبي وغيره، وقال القسطلاني: وهذا هو المعتمد.

الرابع: أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة، وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة، وجبريل نجمه على النبي i في مدة البعثة. قال القسطلاني: وهذا غريب.

انظر: تفسير الطبري: ٣٠/ ٢٥٨ - والنكت والعيون للماوردي: ٤/ ٤٨٩ - والمرشد الوجيز لأبي شامة: ١٤- والبرهان للزركشي: ١/ ٢٢٨ - ولطائف الإشارات للقسطلاني: ١/ ٢٢ - وفتح الباري لابن حجر: ٩/ ٤ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: ١/ ٢١٤ تحقيق محمد صفاء حقي.

وجاء في التنزيل ﴿وقال الذين كفروا لولا أُنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢] فقد ثبت أن لنزول القرآن منجماً حكماً، منها إثبات قلب النبي i وتقويته، ففي تجدد الوحي في كل حادثة تقوية للقلب، وعناية بالمرسل إليه، وتيسير للحفظ وهذا كله من الثبات.

ومن الحكم أيضاً التدرج في تربية الأمة، تقول السيدة عائشة - رضي اللَّه عنها -: «ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر. لقالوا: لا ندع الخمر أبداً. ولو نزل: لا تزنوا. لقالوا: لا ندع الزنى أبداً». أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: تأليف القرآن: ٦/ ١٠٠. =

المسألة الثالثة: في مدة نزوله، وسنّه ﷺ في ذلك الوقت:

اختلف في مدة نزول الوحي على رسول اللَّه ﷺ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه نزل في ثماني عشرة سنة، وهو اختيار الحسن على ما ذكره ابن الجوزي، فقد نقل عنه أنه قال: ذُكِرَ لنا أنه كان بين أوله وآخره ثماني عشرة سنة، أنزل عليه بمكة ثماني سنين.[١]

القول الثاني: أنه نزل في عشرين سنة، ورد عن ابن عباس وعكرمة والشعبي، وهو اختيار ابن جزي[٢]، فقد أخرج الحاكم عن عكرمة عن ابن عباس قال: أُنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر إلى بيت العزة، ثم أُنزل بعد ذلك في عشرين سنة[٣].

وقال الشعبي: فرق اللَّه تنزيل القرآن فكان بين أوله وآخره عشرون

= ومن الحكم مسايرة الحوادث فمن القرآن ما هو جواب لسؤال، أو إنكار على قول قيل، أو فعل أو إقرار أو غير ذلك. ومنها التيسير على الأمة في الحفظ والفهم والعمل بمقتضى ذلك. انظر: المرشد الوجيز لأبي شامة: ٢٧ - والبرهان للزركشي: ١/ ٢٣١ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ١/ ٢٢٠ تحقيقي. ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٥٣.

(١) تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥.

(٢) تفسير ابن جزي: ١/ ٦ و٤/ ٢١٠.

(٣) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥ - وقد سبق تخريج الأثر.

وقال الشعبي: فرق اللَّه تنزيل القرآن فكان بين أوله وآخره عشرون سنة[١].

القول الثالث: أنه نزل في ثلاث وعشرين سنة، ذكره ابن جزي[٢].

وقد عزا ابن جزي الكلبي الخلاف إلى الاختلاف في سنِّه ﷺ يوم توفي، هل كان ابن ستين أو ثلاث وستين سنة.[٣]

---

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٦.

(٣) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٦.

قلت: الخلاف هو نتيجة الاختلاف في مدة إقامته ﷺ بمكة بعد أن أُنزل عليه الوحي، فمن العلماء من عدَّ من ابتداء النبوة، ومنهم من عدَّ من ابتداء الرسالة، ومنهم من اعتبر في العدِّ الرؤيا الصالحة، والاختلاف دائر بين ثمان سنين وخمسة عشر سنة.

فعن الحسن: أنه أنزل عليه بمكة ثماني سنين. وعن ابن عباس وعائشة رضي اللَّه عنهم، أنه ﷺ لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن. والمشهور عند الجمهور، أن القرآن المكي استمر طيلة ثلاث عشرة سنة.

وعلى مذهب من يرى أن رسول اللَّه ﷺ عاش خمساً وستين سنة، يكون مدة نزول الوحي عليه بمكة هو خمسة عشر عاماً، إذ لا خلاف أن مُقامه ﷺ بالمدينة هو عشر سنين، فيكون هذا قولاً رابعاً.

والصحيح الراجح، واللَّه أعلم، أنه أوحي إليه i ثلاثاً وعشرين سنة، عشرٌ منها بالمدينة، وأنه i توفي وله ثلاث وستون سنة. يقول أبو شهبة: ولو راعينا التدقيق والتحقيق تكون مدة نزول القرآن اثنتين وعشرين سنة، وخمسة أشهر ونصف شهر تقريباً. المدخل لدراسة القرآن الكريم: ٥٥. =

وكان سنُّه ﷺ حين نزل عليه الوحي أربعون سنة.[١]

المسألة الرابعة: أول ما نزل من القرآن:

كان رسول اللَّه ﷺ ربما تنزل عليه سورة كاملة، وربما نزل عليه آيات مفترقات فيضم عليه السلام بعضها إلى بعض حتى تكتمل السورة[٢].

وقد اختلف في أول القرآن نزولاً على أربعة أقوال، فالمشهور أنه صدر سورة العلق: ﴿اقْرَأْ﴾. وقيل: ﴿المدّثر﴾. وقيل: ﴿الفاتحة﴾. وقيل: ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾.

فأما الأول: فهو قول عائشة - رضي اللَّه عنها - وبه قال قتادة وأبو صالح، وهو اختيار ابن الجوزي والخازن وابن جزي، وأغلب أهل العلم، وهو الصحيح الثابت[٣]، فقد روى البخاري بسنده عن عائشة - رضي اللَّه عنها - أنها قالت: أول ما بدئ به رسول اللَّه ﷺ من الوحي الرؤيا

= انظر: سنن الترمذي: ٥/ ٢٥١ - وصحيح مسلم: ٤/ ١٨٢٥ - والسيرة النبوية لابن كثير: ٤/ ٥١٣ - وفتح الباري لابن حجر: ١/ ٢٧.

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٦، وهو الراجح المعتمد، والمشهور الذي أطبق عليه العلماء. انظر: شرح مسلم للنووي: ١٥/ ٩٩.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٦.

(٣) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥ - والخازن: ١/ ١٠ - وابن جزي: ١/ ٦ - والإتقان للسيوطي: ١/ ٦٨ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ١/ ٢٢٧.

الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يختلي بغار حراء فَيَتَحَنَّثُ فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة - رضي اللَّه عنها -فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فَغَطَّني[1] حتى بلغ مني الجَهدُ[2]، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فَغَطَّني الثانية حتى بلغ مني الجَهدُ، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فَغَطَّني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق الآيات: ١ - ٥]. فرجع بها رسول اللَّه ﷺ يرجف فؤاده.[3] فقال: زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه ما يجد من الروع.[4]

---

(١) الغَطُّ: العصر الشديد والكبس، قال ابن الأثير: وإنما غَطَّهُ ليختبره هل يقول من تلقاء نفسه شيئاً. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (غطط): ٣/ ٣٧٣.

(٢) الجَهدُ: قال الحافظ ابن حجر: الأكثر بالفتح، ولبعضهم بالضم، وهو المشقة، ويجوز نصب الدال ورفعها، فعلى النصب: بلغ جبريل مني الجهد. وعلى الرفع: بلغ الجهد مني مبلغه وغايته. فتح الباري: ١/ ١٠٠.

(٣) صحيح البخاري: كتاب: الإيمان، باب: بَدْء الوحي: ١/ ٣ وكتاب التفسير ﴿سورة اقرأ﴾: ٦/ ٨٧ وكتاب التعبير: باب: أول ما بدئ به رسول اللَّه ﷺ: ٨/ ٦٧.

(٤) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٦.

القول الثاني: أن أول ما نزل سورة ﴿المدّثر﴾، وهو مروي عن جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنه -[١]، فقد روى مسلم عنه أن أول ما نزل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.[٢]

ومن حديثه في الصحيحين قال: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فَجُئِثْتُ منه رُعباً، فرجعت فقلت: زملوني، زمِّلوني، فدثروني، فأنزل اللَّه تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[٣].

قال ابن الجوزي: ومعنى: (جُئِثْتُ): فرقت، يقال: رجل مجؤوث ومجثوث، وقد صحَّفه بعض الرواة فقال: جبنت، من الجبن[٤].

وقد جمع العلماء بين القولين، فنقل ابن الجوزي أنه لما نزل على

---

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول اللَّه ﷺ: ١/ ١٤٤، وانظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير ﴿سورة المدثر﴾، باب: قوله ﴿قم فأنذر﴾: ٦/ ٧٥ - ومسلم في صحيحه: كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول اللَّه ﷺ: ١/ ١٤٣، وانظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥.

(٤) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥، قال في النهاية: (جثثت): فزعت. و(جئثت) أي ذعرت وخفت. النهاية (جثث): ١/ ٢٣٩ و(جأث) ١/ ٢٣٢.

رسول اللَّه ﷺ صدر سورة العلق، رجع فتدثَّر فنزل ﴿يا أيها المدثر﴾[١].

القول الثالث: أن أول القرآن نزولاً فاتحة الكتاب، ذكر ذلك ابن جزي[٢].

القول الرابع: أنه ﴿بسم اللَّه الرحمن الرحيم﴾، وهو مروي عن الحسن وعكرمة كما ذكر ابن الجوزي[٣].

---

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥؛ ويجمع بينهما - أيضاً - كما نقل الزركشي أن جابراً سمع النبي ﷺ يذكر قصة بدء الوحي فسمع آخرها ولم يسمع أولها فتوهم أنها أول ما أنزل وليس الأمر كذلك. البرهان: ١/ ٢٠٦، وقيل: إن جابراً سُئِل عن نزول سورة كاملة فبين أن ﴿سورة المدثر﴾ نزلت بكمالها قبل تمام ﴿سورة العلق﴾ وقيل غير ذلك. انظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ٧٦.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٦ وهذا القول أورده الزمخشري في تفسيره: ٤/ ٢٢٣، ونسبه لأكثر المفسرين، وقال: وذهب ابن عباس ومجاهد إلى أن أول سورة نزلت ﴿اقرأ﴾، وأكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب. وقد رد عليه أهل العلم فقال ابن حجر: والذي ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأول، وأما الذي نسبه إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول. انظر فتح الباري (سورة اقرأ): ٨/ ٧١٤ - ونقل عن أبي بكر الباقلاني في الانتصار قوله: إن القول بأن الفاتحة أول ما نزل خبر منقطع. انظر الإتقان: ١/ ٢٠٧.

(٣) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٤٣ وقد نسب السيوطي هذا القول لابن النقيب في مقدمته، وقال: هو قول زائد، ثم قال: وعندي أن هذا لا يعد قولاً برأسه فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها، فهي أول آية نزلت على الإطلاق.=

وأول سورة نزلت بالمدينة ﴿البقرة﴾ ثم ﴿الأنفال﴾، كذا قال الخازن[١].

المسألة الخامسة: آخر ما نزل من القرآن:

واختلفوا في آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق على ستة أقوال، فالمشهور أنها آيات الربا التي في آخر البقرة. وقيل: آية الربا ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه وذروا ما بقي من الربا﴾ [البقرة: ٢٧٨] وقيل: آخر آية نزلت ﴿واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى اللَّه﴾ [البقرة: ٢٨١]. وقيل: آية الدين التي في البقرة. وقيل: آية الكلالة التي في النساء ﴿يستفتونك قل اللَّه يفتيكم في الكلالة﴾ [النساء: ١٧٦]. وقيل: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ [التوبة: ١٣٨] إلى آخر السورة. وقيل: سورة النصر.

القول الأول: أنها آية الربا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٨]، فقد روى البخاري في أفراده من حديث ابن عباس قال: آخر آية أُنزلت على النبي ﷺ آية الربا.[٢]

=والإتقان: ١/ ٨٠.

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١١، وقد نقل الحافظ ابن حجر الاتفاق على ذلك. (فتح الباري: ٨/ ١٦٠، قال السيوطي: في دعوى الاتفاق نظر لقول علي بن الحسن أن ﴿العنكبوت﴾ أول سورة نزلت بالمدينة. الإتقان: ١/ ٨١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير، سورة البقرة، باب:﴿واتقوا يوماً=

القول الثاني: أنها قوله تعالى ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] وهو مذهب سعيد بن جبير وأبي صالح، فقد روى الضحاك عن ابن عباس قال: آخر آية أُنزلت ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ﴾[(١)].

القول الثالث: أنها آية الدين، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [البقرة: ٢٨٢][(٢)].

القول الرابع: أنها آية الكلالة وهي قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] فقد روى أبو إسحاق عن البراء بن عازب أنه قال: آخر آية أُنزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ﴾

= ترجعون فيه إلى الله﴾: ٥/ ١٦٤ - وانظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٦.

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٣/ ١١٥ وإسناده صحيح، وانظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٦ - وابن جزي: ١/ ٦ - وانظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ١١٨.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٦ ودليله ما أخرجه أبو عبيد في فضائله عن ابن شهاب قال: آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا وآية الدين. وأخرجه ابن جريج عن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن أحدث القرآن عهداً بالعرش آية الدين. قال السيوطي: مرسل صحيح الإسناد. ثم قال: ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا، و﴿واتقوا يوماً﴾ وآية الدين، لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنها في قصة واحدة، فأخبر كلٌّ عن بعض ما نزل بأنه آخر ما نزل، وذلك صحيح. الإتقان: ١/ ٧٨.

وقال أبو شهبة: هذه آخر ما نزل في باب المعاملات، فهي آخرية مقيدة. المدخل لدراسة القرآن الكريم: ١٢٠.

[النساء: ١٧٦] وآخر سورة أنزلت ﴿بَرَاءةٌ﴾[١].

القول الخامس: أنها قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٣٨] إلى آخر السورة، روي عن أبي بن كعب: أن آخر آية نزلت ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٣٨] إلى آخر السورة.[٢]

القول السادس: أن آخر سورة أنزلت سورة ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقد أخرج مسلم عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - آخر سورة نزلت ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير، سورة النساء، باب: ﴿يستفتونك قل اللَّه يفتيكم في الكلالة﴾ ٥/ ١٨٥ - وانظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٦ - قال السيوطي: أي في شأن الفرائض. الإتقان: ١/ ٨٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٥/ ١١٧ وفي سنده علي بن زيد بن جدعان، قال الهيثمي في المجمع: ٧/ ٣٦: وهو ثقة سيئ الحفظ، وبقية رجاله ثقات.

وأخرجه ابن مردويه، وابن جرير في تفسيره: ١١/ ٧٨ - والبيهقي في الدلائل: ٧/ ١٣٩ - والحاكم في المستدرك: ٢/ ٣٣٨ وانظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٦.

(٣) صحيح مسلم: كتاب: التفسير: (ح٣٠٢٤ - ٤/ ٢٣١٩) وانظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٦ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٦.

وأما القول بأن آخر القرآن نزولاً هو قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٣] فلم يذكره أحد من العلماء المعتبرين، فلا يعتد به. وانظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ١٢٥. =

أواخر مخصوصة:

آخر ما نزل بمكة عن ابن عباس أنها «سورة العنكبوت»، وقال الضحاك وعطاء: آخر سورة هي «المؤمنون». وعن مجاهد: أنها ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾.

وآخر سورة نزلت بالمدينة «المائدة» وقيل: «التوبة»[1].

= والراجح والله أعلم، هو قوله تعالى ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللَّه﴾، والمرجحات لهذا عديدة كما ذكر ذلك الزرقاني وأبو شهبة وغيرهما، ومنها:

أ- أنه لم يحظ قول من الأقوال بجملة من الآثار وأقوال أئمة التفسير مثل ما حظي به هذا القول.

ب- ما تشير إليه الآية في ثناياها من التذكير باليوم الآخر، والرجوع إلى الله.

ج- ما ظفر به من الوقت بين تحديد نزولها، وبين وفاة النبي ﷺ، وهو ما لم يظفر به قول آخر، فقد نصت رواية ابن أبي حاتم أن النبي ﷺ عاش بعد نزولها تسع ليال ثم مات ليلتين خلتا من ربيع الأول. انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٩١ - والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ١١٩.

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١١ - والبرهان للزركشي: ١/ ١٩٤ - والإتقان للسيوطي: ١/ ٣٢ و١/ ٨٠.

obeikandl.com

الموضوع الثاني

جمع القرآن وترتيبه

عرض لهذا الموضوع في مقدمة تفسيره عبد الرزاق الصنعاني[١]، وابن جرير الطبري[٢] وابن عطية[٣]، والقرطبي[٤]، والخازن[٥]، وابن جزي[٦].

وهذا الموضوع يحتوي على قسمين رئيسين:

الأول: جمع القرآن.

والثاني: ترتيب القرآن.

القسم الأول: جمع القرآن، وقد تفاوت المفسرون الذين سبق ذكرهم في عرضه وأُوجز ذلك في ثلاث عشرة مسألة:

المسألة الأولى: الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ:

---

(١) انظر تفسيره: ١/ ٥٧.

(٢) انظر تفسيره: ١/ ٥٩.

(٣) انظر تفسيره: ١/ ٤٧ - ٥٠ - ٥٤.

(٤) انظر تفسيره: ١/ ٤٩ - ٥٦ - ٥٩ - ٨٠.

(٥) انظر تفسيره: ١/ ٧ - ١٠.

(٦) انظر تفسيره: ١/ ٦ - ٧.

obeikandi.com

أخرج الشيخان عن قتادة عن أنس بن مالك - رضي اللّه عنه - قال: جَمَعَ القرآنَ على عهد النبي ﷺ أربعة، كُلُّهم من الأنصار: معاذُ بنُ جبلٍ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ[١]، وزيدُ بنُ ثابتٍ، وأبو زيدٍ. قال قتادة: قلت لأنس: مَنْ أبو زيدٍ؟ قال: أحَدُ عُمُومَتي.[٢]

وفي البخاري عنه أنه قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء[٣]، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قال: نحن ورثناه[٤] - أي أبا زيد - وفي رواية قال: مات أبو زيد ولم يترك عَقِباً، وكان

---

(١) هو أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من كتاب الوحي، وأحد من جمع المصحف بأمر عثمان، توفي (٢١هـ). انظر الاستيعاب لابن عبد البر: ١/ ٤٧ - ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٢٨.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب: مناقب زيد بن ثابت: البخاري مع الفتح: ٧/ ١٢٧ - ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أُبي بن كعب وجماعة من الأنصار: ٤/ ١٩١٤. وانظر تفسير القرطبي: ١/ ٥٦ - والخازن: ١/ ٩.

(٣) هو عويمر بن مالك، وقيل عامر، اشتهر بكنيته، أسلم يوم بدر، وشهد أحداً، قال عنه ﷺ: نعم الفارس عويمر، توفي (٣٢هـ). انظر: الإصابة لابن حجر: ٣/ ٤٥ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٨/ ١٧٥.

(٤) صحيح البخاري: كتاب: فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبي ﷺ: البخاري مع الفتح: ٩/ ٤٧.

بدرياً.[١] أهـ، واسم أبي زيد: سعد بن عُبيد[٢].

فظاهر هذه الآثار أن الذين جمعوا القرآن - بمعنى حفظوه - على عهد النبي ﷺ هم خمسة نفر، والأمر بخلاف ذلك كما يقول أبو بكر بن الطيب الباقلاني، فقد ثبت بالطرق المتواترة أن عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وتميماً الداري، وعبادة بن الصامت[٣]، وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص - رضي اللَّه عنهم أجمعين - وغيرهم قد جمعوا القرآن وحفظوه ولهذا يُحتمل أن أنساً أراد أن يجمع القرآن ويأخذه تلقيناً من فيّ رسول اللَّه ﷺ غير تلك الجماعة، لكون بعضهم أخذ بعض القرآن عن رسول اللَّه ﷺ وبعضه عن غيره ﷺ.[٤]

---

(١) صحيح البخاري: كتاب: المغازي، باب: مات أبو زيد: البخاري مع الفتح: ٧/ ٣١٣ - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٦.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٧، وبذلك جزم الطبراني، كما في الفتح لابن حجر: ٧/ ١٢٨، وقد اختلف في اسمه، والراجح أنه قيس بن السكن بن زعوراء. انظر: الإصابة لابن حجر: ٣/ ٢٥٠ - و٤/ ٧٨ - وفتح الباري له: ٧/ ١٢٨ و٣١٤.

(٣) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري ، شهد العقبة الأولى والثانية وبدراً والمشاهد كلها، كان يعلم الناس القرآن، توفي (٣٤هـ). انظر: الإصابة لابن حجر: ٢/ ٢٦٨ - وأسد الغابة لابن الأثير: ٣/ ١٦٠.

(٤) انظر: نكت الانتصار لنقل القرآن للباقلاني: ٦٧ - ٧٠ - وفيه غير هذا الاحتمال - والطبقات الكبرى لابن سعد: ٢/ ٢٣٥ - وتفسير القرطبي: ١/ ٥٧ - قال ابن حجر في الفتح: ٩/ ٤٧: وذكر العلماء لذلك عدة أوجه. ثم ذكر منها ثمانية.

كما أفاد القرطبي - يرحمه اللَّه - أن الروايات تضافرت بأن الخلفاء الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ لأجل سَبْقِهم إلى الإسلام، وإعظام الرسول ﷺ لهم.(١)

وقد أخرج مسلم والترمذي من حديث عبد اللَّه بن عمرو أنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: خذوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وأُبيٍّ بنِ كعبٍ، ومعاذِ بنِ جبلٍ، وسالمٍ مولى أبي حذيفة. وقال: حديث حسن صحيح.(٢) وفي رواية مسلم: خذوا القرآن من أربعة: من ابن أُمِّ عبد - فبدأ به -... الحديث(٣).

فابن مسعود وسالم هما أيضاً ممن جمعا القرآن في حياة رسول اللَّه ﷺ(٤).

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٥٧.

(٢) سنن الترمذي: كتاب: المناقب، باب: مناقب عبد اللَّه بن مسعود: ٥/ ٦٧٤.

(٣) صحيح مسلم: كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد اللَّه بن مسعود وأمه: ٤/ ١٩١٣ - وانظر تفسير القرطبي: ١/ ٥٨.

(٤) قلت: والذي يظهر أن المقصود من الروايات ليس الحصر، فقد ثبت أن عدداً كبيراً من الصحابة حفظوا القرآن زمن النبي ﷺ، ففي وقعة بئر معونة التي كانت في السنة الرابعة للهجرة قتل من القراء على ما أخرجه البخاري في صحيحه سبعون قارئاً. صحيح البخاري كتاب: المغازي، باب: غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة: البخاري مع الفتح: ٧/ ٣٨٥. =

المسألة الثانية: حول جمع ابن مسعود للقرآن:

لقد اختلف في جمع ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - للقرآن كاملاً في حياة النبي ﷺ، فذهب جماعة ومنهم أبو بكر ابن الطيب الباقلاني، وابن الأنباري، أن عثمان أتم الحفظ بعد وفاته ﷺ، فقد روى ابن الأنباري في كتابه «الرد على من خالف مصحف عثمان» عن أبي إسحاق قال: قال عبد اللَّه بن مسعود: قرأت من فِيّ رسول اللَّه ﷺ اثنتين وسبعين سورة - أو ثلاثاً وسبعين سورة - وقرأت عليه من البقرة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ

= ويقول أبو شامة: وقد أشبع القاضي أبو بكر محمد بن الطيب في الانتصار الكلام على حملة القرآن في حياة رسول اللَّه ﷺ وأقام أدلة كثيرة على أنهم كانوا أضعاف هذه العدة المذكورة، وأن العادة تحُيل خلاف ذلك، ويشهد لذلك كثرة القراء المقتولين يوم مسيلمة باليمامة.... إلى أن قال: وقد قال عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما -: جمعت القرآن فقرأته كله في ليلة، فقال رسول اللَّه ﷺ: اقرأه في شهر..؛ الحديث. وعبد اللَّه غير مذكور في هذه العدة، فدل على أنها ليست للحصر، وما كان من ألفاظ للحصر فله تأويل، ومن تأويلاته: أنه لم يجمعه على جميع وجوهه، والأحرف والقراءات التي نزل بها، وأخبر الرسول ﷺ أنها كلها شاف كاف، إلا أولئك النفر فقط، ومنها أنه لم يجمع ما نسخ منه وأزيل رسمه بعد تلاوته مع ما ثبت رسمه وبقي فرض حفظه وتلاوته إلا تلك الجماعة،..... إلى أن قال: قال المازري: وكيف يعرف النقلة أنه لم يكمله سوى أربعة، وكيف تتصور الإحاطة بهذا وأصحاب رسول اللَّه ﷺ متفرقون في البلاد؟!.

ثم قال: وإن لم يكمل القرآن سوى أربعة، فقد حفظ جميع أجزائه مئون لا يحصون، وما من شرط كونه متواتراً أن يحفظ الكلُّ الكلَّ، بل الشيء الكثير إذا روى كلَّ جزء منه خلق كثير علم ضرورةً، وحصل متواتراً. المرشد الوجيز لأبي شامة: ٣٨ - ٤٠.

يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، قال أبو إسحاق: وتعلَّمَ عبد اللَّه بقية القرآن من مُجَمِّع[١] بن جارية الأنصاري.[٢]

وذكر عن أبي إسحاق أنه قال: سألت الأسود[٣]: ما كان عبد اللَّه يصنع بسورة الأعراف؟ فقال: ما كان يعلمها حتى قدم الكوفة؛ قال: وقد قال بعض أهل العلم: مات عبد اللَّه بن مسعود قبل أن يتعلم المعوِّذتين، فلهذه العلة لم توجدا في مصحفه.[٤]

---

(١) هو مجمع بن جارية بن عامر بن مجمع الأنصاري ، أحد من جمع القرآن عن رسول اللَّه ﷺ، توفي في خلافة عثمان. انظر: الإصابة لابن حجر: ٣/ ٣٦٦ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١٠/ ٤٧.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٨ وأخرجه البخاري بلفظ: واللَّه لقد أخذت من في رسول اللَّه ﷺ بضعاً وسبعين سورة... البخاري مع الفتح: ٩/ ٤٦.

(٣) هو الأسود بن هلال المحاربي الكوفي ، له إدراك، روى عن ابن مسعود وغيره، وثقه النسائي وغيره، قيل توفي (٨٤هـ). انظر تهذيب الكمال للمزي: ٣/ ٢٣١ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١/ ٣٤٢.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٨.

قلت: وقوله: «مات ولم يتعلم المعوذتين» مخالف للحقيقة، فالمشهور أن ابن مسعود لم يكتبهما في مصحفه، لا أنه لم يتعلمهما، إذ كيف يقال ذلك، وابن مسعود يقول فيما أخرجه مسلم وغيره: والذي لا إله غيره ما في كتاب اللَّه سورة إلا وأنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا وأعلم فيما نزلت، ولو أعلم أحداً هو أعلم بكتاب اللَّه مني=

obeikandl.com

وعن محمد بن كعب القرظي قال: كان ممن ختم القرآن ورسول اللَّه ﷺ حيٌّ عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد اللَّه بن مسعود. قال ابن الأنباري: حديث ليس بصحيح عند أهل العلم، وإنما هو مقصور على محمد بن كعب فهو مقطوع لا يؤخذ به، ولا يُعوَّل عليه.(١)

فالشائع المعروف عند أهل الرواية والنقل أن عبد اللَّه بن مسعود تعلم بقية القرآن بعد وفاة رسول اللَّه ﷺ، وقد قال بعض الأئمة: مات عبد اللَّه بن مسعود قبل أن يختم القرآن. قال يزيد بن هارون(٢): المعوذتان بمنزلة البقرة وآل عمران من زعم أنهما ليستا من القرآن، فهو كافر باللَّه العظيم. فقيل له: فقول عبد اللَّه بن مسعود؟! فقال: لا خلاف بين المسلمين في أن عبد اللَّه بن مسعود مات وهو لا يحفظ القرآن كله.

قال القرطبي: في هذا نظر.(٣)

=تبلُغُهُ الإبل لركبت إليه. صحيح مسلم: ٤/ ١٩١٣.

(١) وعقب القرطبي على هذا وقال: وقوله ﷺ: خذوا القرآن من أربعة، من ابن أم عبد.... الحديث يدل على صحته. تفسير القرطبي: ١/ ٥٨ أي صحة ما يتعلق بابن مسعود.

(٢) هو يزيد بن هارون بن زاذان السلمي ، كان رأساً في العلم والعمل، ثقة حجة، كبير الشأن، قيل: كان أحفظ من وكيع، توفي (٢٠٦هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/ ٣٥٨ - وتاريخ بغداد للخطيب: ١٤/ ٣٣٧.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٥.

وذهب فريق آخر ومنهم القرطبي إلى كونه رضي اللَّه عنه، جمع القرآن وأتم حفظه في حياة النبي ﷺ، فعن كُميل[١] قال: قال عمر بن الخطاب: كنت مع رسول اللَّه ﷺ ومعه أبو بكر ومن شاء اللَّه، فمررنا بعبد اللَّه بن مسعود وهو يصلي، فقال رسول اللَّه ﷺ: مَنْ هذا الذي يقرأ القرآن؟ فقيل له: هذا عبد اللَّه بن أُمّ عبد؛ فقال: إن عبد اللَّه يقرأ غضاً كما أُنزل.[٢]

وروى وكيع وجماعة معه عن الأعمش عن أبي ظبيان قال: قال لي عبد اللَّه بن عباس: أي القراءتين تقرأ؟ قلت: القراءة الأولى، قراءة ابن أمِّ عبد؛ فقال: بل هي القراءة الآخرة، إن رسول اللَّه ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قُبِض فيه رسول اللَّه ﷺ عرضه جبريل عليه مرتين، فحضر ذلك عبد اللَّه فعلم ما نسخ من ذلك وما بُدِّل[٣].

---

(١) هو كميل بن زياد بن نَهيك الصُّبهاني ، كان شريفاً مطاعاً في قومه، تابعي ثقة، قتله الحجاج سنة (٨٢هـ). انظر: طبقات ابن سعد: ٦/ ١٧٩ - وتهذيب الكمال للمزي: ٢٤/ ٢١٨.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٧ - وسيرد تخريج الحديث إن شاء اللَّه.

قال بعض العلماء: معنى قوله: «غضاً كما أُنزل» أي: أنه كان يقرأ الحرف الأول الذي أُنزل عليه القرآن دون الحروف السبعة التي رخّص لرسول اللَّه ﷺ في قراءته عليها بعد معارضة جبريل عليه السلام القرآن إياه في كل رمضان، تفسير القرطبي: ١/ ٥٧.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٧ - وأخرجه الإمام أحمد في المسند: (ح٣٤٢٢ - ٥/ ١٤١) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح. وقد روى ابن سعد بإسناده عن القاسم بن عبد=

ويدل عليه ما سبق قبل قليل عن عبد اللَّه بن عمرو، قال القرطبي بعد أن سرد جملة من الأقوال في تأييد مذهبه: هذه الأخبار تدل على أن عبد اللَّه جمع القرآن في حياة رسول اللَّه ﷺ خلاف ما تقدم.(١)

قال الخطابي: ومما يبين ذلك أن أصحاب القراءات من أهل الحجاز والشام والعراق كل منهم عَزَا قراءته التي اختارها إلى رجل من الصحابة قرأها على رسول اللَّه ﷺ لم يستثن من جملة القرآن شيئاً، فأسند عاصم(٢) قراءته إلى علي وابن مسعود، وأسند ابن كثير قراءته إلى أُبيّ، وكذلك أبو عمرو بن العلاء(٣) أسند قراءته إلى أُبيّ، وأما عبد اللَّه بن عامر(٤) فإنه أسند

مرة حتى إذا كان العام الذي قُبِض فيه رسول اللَّه ﷺ نزل جبريل فأقرأه القرآن مرتين؛ قال عبد اللَّه: فقرأت القرآن من فِيِّ رسول اللَّه ﷺ ذلك العام.... الحديث الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢/ ١٩٥. وهذا صريح وحاسم في حفظ ابن مسعود للقرآن كله، واللَّه أعلم.

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٥٧ - ٥٨.

(٢) هو عاصم بن بهدلة بن أبي النَّجُود الأسدي ، أحد القراء السبعة، وشيخ القراء بالكوفة، توفي (١٢٧هـ). انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٣٤٦ - ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٨٨.

(٣) هو أبو عمرو زبان بن العلاء المازني البصري، ثقة وأحد القراء السبعة، توفي (١٥٤هـ). انظر غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٢٨٨ - ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ١٠٠.

(٤) هو عبد اللَّه بن عامر بن يزيد اليحصبي ، إمام مقرئ من أهل الشام، وأحد القراء=

قراءته إلى عثمان، وهؤلاء كلهم يقولون: قرأنا على رسول اللَّه ﷺ وأسانيد هذه القراءات متصلة، ورجالها ثقات.[١]

المسألة الثالثة: المراحل التي مرَّ بها جمع القرآن الكريم:

إن جمع القرآن الكريم بمعنى كتابته مر في الصدر الأول بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: جمع النبي ﷺ بإشارة من جبريل عليه السلام:

نزل القرآن الكريم على رسول اللَّه ﷺ مفرقاً في نحو ثلاث وعشرين سنة، فكان كلما نزل عليه شيء منه قرأه ﷺ على أصحابه - رضي اللَّه عنهم -ليحفظوه في صدورهم، وأمر كُتَّاب الوحي بكتابته وتسجيله بين يديه، محدداً لهم موضع الآية أو الآيات ومكانها في السورة، فحُفِظَ في الصدور والسطور معاً، وكان المكتوب مفرقاً في الصحف والجريد والظُّرر واللخاف والخزَف والكرانيف والعُسُب[٢] وغير ذلك، ولم يجمع في

=السبعة، قيل: عرض على عثمان نفسه، توفي (١١٨هـ). انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٤٢٣ - ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٨٢.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٨.

(٢) الجريد: السَّعَفُ، واحدها: جريدة. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير «جرد»: ١/ ٢٥٦.

قال الأصمعي: اللِّخاف: حجارة بيض رِقاق، واحدتها لَخفة. انظر: النهاية في غريب=

مصحف واحد روى ابن جرير بسنده عن سفيان بن عيينة عن الزهري قال: قُبض رسول اللَّه ﷺ ولم يكن القرآن جمع وإنما كان في الكرانيف والعُسُب.(١)

يقول الخازن: وإنما ترك رسول اللَّه ﷺ جمعه في مصحف واحد لأن النسخ كان يرد على بعضه، ويرفع الشيء بعد الشيء من التلاوة، كما كان ينسخ بعض أحكامه فلم يجمع في مصحف واحد، ثم إنه لو رفع بعض تلاوته أدى ذلك إلى اختلاف واختلاط أمر الدين، فحفظ اللَّه كتابه في القلوب إلى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين - رضي

=الحديث لابن الأثير «لخف»: ٤/ ٢٤٤ - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٤٩ - وقال الخازن في تفسيره: ١/ ٨: قال بعض الرواة: اللخاف يعني الخزف.

والظُّرر: حجر له حدٌّ كحد السكين، والجمع ظِرار؛ مثل رُطب ورطاب، ورُبع ورِباع، وظِرّان أيضاً مثل صُرد وصِردان. انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٤٩ - والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير «ظرر»: ٣/ ١٥٦.

الكرانيف: أصل السَّعفة الغليظة، واحدها: كرنف. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير «كرنف»: ٤/ ١٦٨.

العُسبُ: أي جريدة النخل، وهي السعفة مما لا ينبت عليه الخوص. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: «عسب»: ٣/ ٢٣٤ - وفتح الباري لابن حجر: ٩/ ١٤.

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٦٣ قال أحمد شاكر: ذكر ابن حجر في الفتح: ٩/ ٩ رواية سفيان عن الزهري عن عبيد عن زيد بن ثابت، وأتمها في ص١١ باختلاف في اللفظ.

اللَّه عنهم[١]-.

المرحلة الثانية: جمع أبي بكر بإشارة من عمر - رضي اللَّه عنهما -[٢]:

أخرج ابن جرير بسنده عن خارجة بن زيد[٣] بن ثابت عن أبيه زيد، قال: لَمَّا قُتل أصحاب رسول اللَّه ﷺ باليمامة[٤] دخل عمر بن الخطاب

---

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٠ وقيل: إنه لم يجمع في مصحف واحد زمن النبي ﷺ لأن القرآن لم ينزل مرة واحدة بل نزل منجماً في مدى عشرين سنة أو أكثر، وقيل: لأنه لم توجد دواعي لكتابته وجمعه في مصحف أو مصاحف مثل تلك الدواعي التي وجدت فيما بعد، ولهذا يقول الزرقاني في المناهل: ١/ ٢٤٠: إن القرآن لو جمع في مصحف أو مصاحف لكان عرضة لتغيير الصحف والمصاحف كلما وقع نسخ، أو حدث سبب مع أن الظروف لا تساعد وأدوات الكتابة ليست متوفرة، والتعويل كان على الحفظ قبل كل شيء.

(٢) وضع أبو بكر رضي اللَّه عنه طريقة دقيقة محكمة، ونظاماً عظيماً انتهجه للجمع، فقد اعتمد على أمرين: الأول: ما كتب بين يدي رسول اللَّه ﷺ. والثاني: ما كان محفوظاً في صدور الرجال، ولهذا وردت في بعض الروايات أن زيداً ما كان يقبل المكتوب إلا ومعه شاهدان عدلان يشهدان أنه كتب بين يدي رسول اللَّه ﷺ والأدلة على ذلك متواترة. انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٢٤٥.

(٣) هو خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، ثقة توفي (٩٩هـ). انظر: التاريخ الكبير للبخاري: ٣/ ٢٠٤ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٣/ ٧٤.

(٤) وكان ذلك في السنة الثانية عشرة من الهجرة، بقيادة خالد بن الوليد، لقتال مسيلمة الكذاب. =

على أبي بكر- رحمه اللَّه - فقال: إن أصحاب رسول اللَّه ﷺ باليمامة تهافتوا تهافت الفراش في النار، وإني لأخشى أن لا يشهدوا موطناً إلا فعلوا ذلك حتى يُقتلوا - وهم حملة القرآن - فيضيع القرآن ويُنسى، فلو جمعته وكتبته! فنفر منها أبو بكر وقال: أفعل ما لم يفعله رسول اللَّه ﷺ! فتراجعا في ذلك.

ثم أرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت، قال زيد: فدخلت عليه وعمر مُحَزْئِلٌ[1] فقال أبو بكر: إن هذا قد دعاني إلى أمر فأبيت عليه، وأنت كاتب الوحي، فإن تكن معه اتبعكما، وإن توافقني لا أفعل. قال: فاقتص أبو بكر قول عمر، وعمر ساكت، فنفرت من ذلك وقلت: نفعل ما لم يفعل رسول اللَّه ﷺ! إلى أن قال عمر كلمته: «وما عليكما لو فعلتما ذلك؟» قال: فذهبنا ننظر، فقلنا: لا شيء واللَّه! وما علينا في ذلك شيء!

قال زيد: فأمرني أبو بكر، فكتبته في قطع الأدم وكِسَرِ الأكتاف والعُسُبِ.[2]

وروى عبد الرزاق بسنده أن زيد بن ثابت - رضي اللَّه عنه -

= قال القرطبي: وقد قيل قتل من القراء في ذلك اليوم سبعمائة. تفسير القرطبي: ١/ ٥٠.

(١) احزألَّ الرجل: اجتمع وتحفَّز ورفع صدره كالمتهيء لأمر، فهو محزئل: منضم بعضه إلى بعض، جالس جلسة المستوفز. لسان العرب «حزل»: ١/ ٦٢٥.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٥٩. ولم أجده بلفظه عند غيره.

قال: أرسل إليَّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر - رضي اللَّه عنه -: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى إن استحرَّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول اللَّه ﷺ؟! قال عمر: هذا واللَّه خير.

فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح اللَّه صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: «إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول اللَّه ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه». فواللَّه لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول اللَّه ﷺ؟! قال: هو واللَّه خير.

فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح اللَّه صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر - رضي اللَّه عنهما - فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف وصدرور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه اللَّه، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة

بنت عمر.[١]

وفي رواية البخاري: وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري[٢].

وقال الليث[٣]: حدثني عبد الرحمن بن غالب عن ابن شهاب وقال:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٥٧ - وابن أبي داود في المصاحف: ١٤ - وأورده القرطبي في تفسيره: ١/ ٥٠ - والخازن في تفسيره: ١/ ٧ وعزاه للبخاري، وهو في البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن. البخاري مع الفتح: ٩/ ١١.

قال الخازن: ١/ ٨: قوله: «بعث إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة» أي: لأوان قتلهم، وأراد به الواقعة التي كانت باليمامة في زمن أبي بكر الصديق - رضي اللّه عنه - وهي وقعة الردة مع أصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القرآن.

قال: واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطائف وعلى أربعة أيام من مكة، ولها عمائر، وهي مقدار أرض نجد. اهـ. قلت: وهذا وهم من المصنف، فاليمامة من أرض نجد، وهي اليوم تعتبر من غرب مدينة الرياض وتتبع إمارتها. وانظر: معجم البلدان لياقوت: ٥/ ٤٤١.

وقوله «استحر القتل» أي: كثر، وينسب المكروه إلى الحر، والمحبوب إلى البرد. و«شرح الصدر»: سعته وقبوله للخير. تفسير الخازن: ١/ ٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن. البخاري مع الفتح: ٩/ ١١.

(٣) هو الليث بن أبي سليم بن زنيم القرشي، صدوق عابد صالح في نفسه، اختلط أخيراً ولم يتميز حديثه فترك، توفي (١٣٨هـ). انظر المجروحين: ٢/ ٢٣١ - والتقريب لابن حجر: ٢/ ١٣٨.

مع أبي خزيمة الأنصاري.[١]

قال أبو ثابت: حدثنا إبراهيم[٢] وقال: مع خزيمة أو أبي خزيمة ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩][٣].

وقال الترمذي في حديثه: فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال: حديث حسن صحيح.[٤]

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٠.

(٢) هو إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع بن يزيد الأنصاري، ضعيف، قال ابن معين: ليس بشيء. استشهد به البخاري وقال: كثير الوهم. انظر تهذيب الكمال للمزي: ٢/ ٤٥ - وفتح الباري لابن حجر: ٩/ ١٢.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٠.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره: ١/ ٥١ وهو عند الترمذي، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة التوبة: ٥/ ٢٨٣.

وعن تردد أبي بكر وزيدٍ عن المبادرة إلى رأي عمر يقول ابن بطال: إنما نفر أبو بكر أولاً ثم زيد ثانياً لأنهما لم يجدا رسول الله ﷺ فعله فكرها أن يحلاّ أنفسهما محل من يزيد احتياطه للدين على احتياط الرسول ﷺ، فلما نبههما عمر على فائدة ذلك، وأنه خشية أن يتغير الحال في المستقبل إذا لم يجمع القرآن فيصير إلى حالة الخفاء بعد الشهرة رجعا إليه. اهـ ومثل ذلك قال الباقلاني في نكت الانتصار: ٣١٨. =

وفي رواية البخاري قال ابن شهاب: وأخبرني خارجة بن زيد أنه سمع زيد بن ثابت يقول: فقدت آية من سورة الأحزاب حين نسخت المصحف قد كنت أسمع رسول اللَّه ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فألحقناها في سورتها.(١)

وأبو خزيمة الذي وجد عنده آخر التوبة هو غير خزيمة بن ثابت(٢) الذي وجد عنده آية الأحزاب، قال الخازن: هو أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن عمر بن مالك بن النجار الأنصاري، شهد بدراً وما بعدها، وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجدت عنده آخر سورة التوبة، قال: كذا ذكره ابن عبد البر.(٣) وهو الذي عرفه أنس بقوله: نحن ورثناه.(٤)

وفي رواية الطبري أن آية التوبة سقطت في جمع عثمان. قال: ابن عطية:

= وقال ابن حجر: وليس ذلك من الزيادة على احتياط الرسول ﷺ بل هو مستمد من القواعد التي مهدها الرسول ﷺ. فتح الباري: ٩/ ١٣.

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ٨ - وفتح الباري: ٩/ ١١.

(٢) هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الأوسي. انظر ترجمته في الإصابة لابن حجر: ١/ ٤٢٥.

(٣) انظر: تفسير الخازن: ١/ ٩ - والاستيعاب لابن عبد البر: ٤/ ٥٠ بهامش الإصابة.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٦.

والأول أصح.[١] يعني أنه في جمع أبي بكر. قال: وهو الذي حكاه البخاري إلا أنه قال فيه: مع أبي خزيمة الأنصاري.

وبقيت الصحف التي جمعها زيد بأمر أبي بكر عند أبي بكر ثم عند عمر بن الخطاب من بعده، ثم عند حفصة بنته في خلافة عثمان، وانتشرت في خلال ذلك صُحفٌ في الآفاق كتِبت عن الصحابة، كمصحف ابن مسعود وما كتب عن الصحابة بالشام، ومصحف أُبيّ، وغير ذلك وكان في ذلك اختلاف حسب السبعة الأحرف التي أنزل القرآن عليها.[٢]

المرحلة الثالثة: جمع عثمان بإشارة من حذيفة - رضي اللَّه عنهما [٣]:

بقيت الصحف التي جمعت من قبل زيد في مأمن عن المخاطر عند حفصة أم المؤمنين - رضي اللَّه عنها - إلى خلافة عثمان - رضي اللَّه عنه - كما بقيت المصاحف الخاصة بالصحابة في جوزتهم حسب ترتيبهم وحسب حرفهم، وانتشرت في البلدان والأفاق معهم، كمصحف ابن

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٦٠ - وتفسير ابن عطية: ١/ ٥١ - وتفسير القرطبي: ١/ ٥١.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥١.

(٣) يرى بعض أهل العلم أن جمع عثمان انصبَّ على ترتيب السور. انظر المستدرك للحاكم: ٢/ ٢٢٩ وهو أمر مخالف للسبب الذي دفع عثمان للجمع، فقد ذكرت الروايات واتفقت على أن السبب كان الخلاف في القراءة الذي حدث في عدة وقائع، وقد تعاظم الأمر حتى خيفت الفتنة، فالقصد والغاية هي جمع الناس على قراءة واحدة، وإن كان روعي فيه الترتيب. وانظر: فتح الباري لابن حجر: ٩/ ٢١.

مسعود وما كتب عن الصحابة في الشام، وكمصحف أبيّ وغيرها.

وإذا كان أبو بكر قد أمر بجمع المصحف خشية ذهاب شيء منه بموت القرّاء الذين تهافتوا على القتال، فإن ما حدث في عهد عثمان لا يقلُّ شأواً بأية حال عن ذلك، إنه الاختلاف في القراءة، الذي ظهر بوضوح بين المسلمين، في مواطن كثيرة، إلى أن كفر بعضهم بقراءة بعض، وكان الخلاف حسب السبعة الأحرف الذي أُنزل عليها القرآن.[١]

وقد جاءت روايات عدة تدل على الرغبة في جمع الناس على مصحف واحد، وبرسم واحد، وإنهاء الخلاف قبل استفحال أمره، يقول ابن عطية: فتجرد عثمان - رضي اللّه عنه - للأمر واستناب الكفاة العلماء الفصحاء في أن يكتبوا القرآن ويجعلوا ما اختلفت القراءة فيه على أشهر الروايات عن رسول اللّه ﷺ، وأفصح اللغات[٢]، ومن ذلك:

ما رواه ابن جرير بسنده عن أبي قِلابة، قال: لما كان في خلافة عثمان، جعل المعلِّمُ يعلِّمُ قراءة الرجل، والمعلِّم يعلِّم قراءةَ الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين - قال أيوب: فلا أعلمه إلا قال -: حتى كَفَرَ بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمانَ بن

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥١ - وبمثل ذلك قال ابن التين وغيره . انظر الإتقان: ١/ ١٨٨.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية ١/ ٤٧.

عفان، فقام خطيباً فقال: أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون، فمن نأى عني من أهل الأمصار أشد اختلافاً وأشد لحناً. اجتمعوا يا أصحاب محمد، فاكتبوا للناس إماماً.

قال أبو قلابة: فحدثني أنس بن مالك قال: كنت فيمن يملي عليهم، قال: فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول اللَّه ﷺ، ولعله أن يكون غائباً أو في بعض البوادي فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدعون موضعها، حتى يجيءَ أو يُرْسَلَ إليه. فلما فرغ من المصحف، كتب عثمان إلى أهل الأمصار: إني قد صَنَعتُ كذا وكذا، ومحوتُ ما عندي، فامحوا ما عندكم.[١]

وروى سويد بن غفلة[٢] عن علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - أن عثمان قال: ما ترون في المصاحف؟ فإن الناس قد اختلفوا في القراءة حتى إن الرجل ليقول: قراءتي خير من قراءتك، وقراءتي أفضل من قراءتك، وهذا شبيه بالكفر. قلنا: ما الرأي عندك يا أمير المؤمنين؟ قال: الرأي عندي أن يجتمع الناس على قراءة، فإنكم إذا اختلفتم اليوم كان

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٦١، وابن أبي داود في المصاحف: ٢٨ - وابن أشته. انظر الإتقان للسيوطي: ١/ ١٨٧.

(٢) هو سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر الجُعفي، أدرك الجاهلية، وقدم المدينة حين نفضت الأيدي من دفن رسول اللَّه ﷺ، ثقة معمر، توفي (٨٠هـ)، انظر: تهذيب الكمال للمزي: ١٢/ ٢٦٥- وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٤/ ٢٧٨.

مَنْ بعدكم أشد اختلافاً؛ قلنا: الرأي رأيك يا أمير المؤمنين؛ فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها إليه، فأمر زيدَ بن ثابت، وعبد اللَّه بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف.

وقال عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل القرآن بلسانهم. ففعلوا حتى نسخوا الصحف في المصاحف، ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كلّ أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.(١)

قال القرطبي: وكان هذا من عثمان رضي اللَّه عنه بعد أن جمع المهاجرين والأنصار وجلة أهل الإسلام، وشاورهم في ذلك، فاتفقوا على جمعه بما صحَّ وثبت في القراءات المشهورة عن النبي ﷺ وإطراح ما سواها، واستصوبوا رأيه، وكان رأياً سديداً موفقاً، رحمة اللَّه عليه وعليهم أجمعين.(٢)

وأخرج البخاري عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - أن حذيفة ابن اليمان قدِم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٢.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٢.

وأذربيجان[١] مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافُهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها إليه، فأمر زيد بن ثابت وعبد اللَّه بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها.... الأثر.[٢]

قال ابن شهاب: وأخبرني خارجة بن زيد أنه سمع زيد بن ثابت يقول: فقدت آية من سورة الأحزاب حين نسخت المصحف قد كنت أسمع رسول اللَّه ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فألحقناها في

---

(١) إرمينية: بكسر الهمزة وتخفيف الياء، سميت بأرمين بن لطان بن لومن بن يافث بن نوح، وهو أول من نزلها سميت باسمه، وهي اليوم بيد طائفة الأرمن. انظر: تفسير الخازن: ١/ ٩ - ومعجم البلدان لياقوت: ١/ ١٥٩.

وأذربيجان: بفتح الهمزة وسكون الذال، وموضع في بلاد العحم من مدائنها تبريز، وهي اليوم دولة مستقلة، انفصلت عن ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي. انظر: تفسير الخازن: ١/ ٩ - ومعجم البلدان لياقوت: ١/ ١٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن: ٩/ ١١، وأخرجه ابن جرير بنحوه في تفسيره: ١/ ٦٢ - وابن أبي داود في المصاحف: ٢٥ - وأورده ابن عطية في تفسيره: ١/ ٤٧ - والخازن في تفسيره: ١/ ٨. قلت: فكان هذا تأييداً لتوجس عثمان من وقوع الاختلاف بين البعيدين عنه.

سورتها في المصحف.[١]

وفي رواية أخرى قال ابن شهاب: اختلفوا يومئذ في التابوت، فقال زيد: (التابوه) وقال عبد اللَّه بن الزبير وسعيد بن العاص: (التابوت). فرُفع اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه (التابوت) فإنه بلسان قريش.[٢]

وفي رواية أخرى عند ابن جرير أن حذيفة بن اليمان قدم من غزوة كان غزاها بمرج إرمينية فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان بن عفان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك الناس! فقال عثمان: وما ذاك؟ قال: غزوت مَرجَ إرمينية فحضرها أهل العراق وأهل الشام، فإذا أهل الشام يقرأون بقراءة أُبيّ بن كعب، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، فتكفرهم أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرأون بقراءة ابن مسعود، فيأتون بما لم يسمع به أهل الشام فتكفرهم أهل الشام. قال زيد: فأمرني عثمان بن عفان أن أكتب له مصحفاً، وقال: إني مُدخلٌ معك رجلاً لبيباً فصيحاً، فما اجتمعتما عليه فاكتباه، وما اختلفتما فيه فارفعاه إليّ. فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص. قال: فلما بلغنا ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ [البقرة: ٢٤٨] قال زيد: فقلت: (التابوه)، وقال أبان بن سعيد: (التابوت)، فرفعنا ذلك إلى عثمان فكتب: (التابوت).

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح: كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن: ٩/ ١١.

(٢) هذه من رواية الترمذي: كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة: ٥/ ٢٨٤.

قال: فلما فرغتُ عرضته عَرضَةً، فلم أجد فيه هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣] قال: فاستعرضتُ المهاجرين أسألهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدتُها عند خزيمة بن ثابت، فكتبتها.

ثم عرضته عَرضَةً أخرى، فلم أجد فيه هاتين الآيتين: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة ١٢٨- ١٢٩] فاستعرضت المهاجرين فلم أجدها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدتها مع رجل آخر يدعى أيضاً خزيمة، فأثبتها في آخر ﴿بَرَاءةٌ﴾، ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حِدَةٍ[1].

ثم عرضته عرضة أخرى، فلم أجد فيه شيئاً، ثم أرسل عثمان إلى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة، وحلف لها ليردنَّها إليها فأعطته إياها،

---

(١) قوله: «ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة» توحي بأن الصحابة تصرفوا حسب اجتهادهم، وأن تحديد وتعيين السور باجتهاد منهم، وأنه غير توقيفي، وهو خلاف الصحيح الثابت عند أهل العلم. وانظر: مصاعد النظر للبقاعي: ١/ ٤٣٣ حاشية (٤).

فعرض المصحف عليها، فلم يختلفا في شيء، فردها إليها وطابت نفسه، وأمر الناس أن يكتبوا مصاحفَ، فلما ماتت حفصة، أرسل إلى عبد اللَّه بن عمرو في الصحيفة بعزمة، فأعطاهم إياها، فغلست غسلاً.

وذكر من طريق آخر بنحوه سواءً.(١)

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٦٠.

وقد علق الأستاذ أحمد شاكر على هذين الأثرين فقال:: قال ابن حجر في فتح الباري: ٩/ ٩ - ١٩، وذكر رواية الطبري مفرقة في شرح الباب في أول «باب جمع القرآن» في شرح حديث جمع القرآن الذي رواه البخاري من طريق ابن شهاب عن عبيد بن السبَّاق عن زيد بن ثابت: «هذا هو الصحيح عن الزهري، أن قصة زيد بن ثابت مع أبي بكر وعمر، عن عبيد بن السبَّاق عن زيد بن ثابت، وقصة حذيفة مع عثمان عن أنس بن مالك، وقصة فَقْدِ زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب في رواية عبيد بن السبَّاق عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه، وقد رواه إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع عن الزهري، فأدرج قصة آية سورة الأحزاب في رواية عبيد بن السبَّاق»، ثم قال عن هذا الخبر الذي رواه الطبري: «وأغرب عمارة بن غزية فرواه عن الزهري فقال: عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه، وساق القصص الثلاثة بطولها: قصة زيد مع أبي بكر وعمر، ثم قصة حذيفة مع عثمان أيضاً، ثم قصة فَقْدِ زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب. أخرجه الطبري، وبين الخطيب في (المدرج)، أن ذلك وهم منه، وأنه أدرج بعض الأسانيد على بعض».

وقال العيني في شرحه عمدة القارئ: ١٦/ ١٩٨: وقع في رواية عبد الرحمن بن مهدي عن إبراهيم بن سعد مع «خزيمة بن ثابت»، أخرجه أحمد والترمذي. ورواية من قال: مع أبي خزيمة. أصح. =

المسألة الرابعة: أن عثمان بن عفان - رضي اللَّه عنه - جعل الصحف التي عند حفصة إماماً في هذا الجمع الأخير، وأنه قرن بزيد بن ثابت فيما رواه البخاري والترمذي وغيرهما ثلاثة من قريش: سعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد اللَّه بن الزبير.

وفي رواية الطبري أنه قرن بزيد أبان بن سعيد بن العاص وحده.

وقد رجح العلماء القول الأول، وضعَّفوا الآخر.(١)

وقال القرطبي: وما ذكره البخاري والترمذي أصح.(٢)

المسألة الخامسة: وجه جمع عثمان الناس على مصحف، وقد سبقه إلى ذلك أبو بكر وفرغ منه.

يقول القرطبي: إن عثمان - رضي اللَّه عنه - لم يقصد بما صنع جمع الناس على تأليف المصحف، ألا ترى كيف أرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك.

=قال: والذي وجد معه آخر سورة التوبة أبو خزيمة ، بالكنية ، والذي وجد معه الآية من الأحزاب خزيمة ، واسم أبي خزيمة لا يعرف ، وهو مشهور بكنيته ، وهو ابن يزيد ابن أصرم.

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٢.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٢.

وإنما فعل ذلك عثمان لأن الناس اختلفوا في القراءة بسبب تفرق الصحابة في البلدان، واشتد الأمر في ذلك وعظم اختلافهم وتشبثهم، ووقع بين أهل الشام والعراق ما ذكره حذيفة - رضي اللَّه عنه -.[١]

المسألة السادسة: عدد المصاحف التي أمر عثمان بنسخها:

ذكر ابن عطية أن عثمان بن عفان نسخ من المصحف نسخاً ووجه بها إلى الآفاق، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق أو تخرق - تروى بالحاء غير المنقوطة، وتروى بالخاء على معنى ثم تدفن - ورواية الحاء غير المنقوطة أحسن.[٢]

قال القرطبي: وقال غيره - أي غير ابن عطية -: قيل: سبعة[٣]. وقيل: أربعة. وهو الأكثر[٤]، فوجَّه للعراق والشام ومصر بأمهات[٥]،

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٥١ وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: ٩/ ٢١: وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القرآن حين قرأوا بلغاتهم على اتساع اللغات.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٢ - وتفسير القرطبي: ١/ ٥٤ - وانظر المصاحف لابن أبي داود: ٤٣-.

(٣) وهو قول أبي حاتم السجستاني. المصاحف لابن أبي داود: ٣٤، وانظر الزيادة والإحسان في علوم القرآن: ٢/ ٥١٩ بتحقيقي. وأشار مكي في الإبانة إلى قول السجستاني، وقال: ورواته أكثر. الإبانة: ٤٩.

(٤) وهو قول أبي عمرو. انظر: المقنع: ٩، قال: وهو الذي عليه الأئمة. وقال ابن حجر والعيني والسيوطي: المشهور أنها خمسة. انظر: فتح الباري: ٩/ ٢٠ - وعمدة القاري: ١٦/ ١٩٩ - والإتقان: ١/ ١٨٩.

(٥) وبقي الرابع في المدينة، ومن قال: إنها سبعة، قال: وأرسل إلى مكة، وإلى الشام، وإلى=

فاتخذها قراء الأمصار معتمداً اختياراتهم، لم يخالف أحد منهم مصحفه على النحو الذي بلغه.(١)

المسألة السابعة: الآيات المفقودة في الجمعين:

ورد في رواية الطبري أن زيد بن ثابت فقد آية الأحزاب ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣] ووجدها مع خزيمة بن ثابت، وأنه فقد في نفس الجمع آية التوبة ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة ١٢٨- ١٢٩] وأنه وجدها مع رجل آخر يدعى خزيمة أيضاً.

وفي رواية البخاري: عن زيد بن ثابت قال: لما نسخت الصحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول اللّه ﷺ يقرؤها، لم أجدها إلا مع خزيمة الأنصاري الذي جعل رسول اللّه شهادته بشهادة رجلين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾(٢).

=اليمن وإلى البحرين، وإلى البصرة، وإلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحداً. وانظر فتح الباري لابن حجر: ٩/ ٢٠ - وعمدة القاري للعيني: ١٦/ ١٩٩.

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٥٤.

(٢) انظر: تفسير القرطبي : ١/ ٥١ والرواية في البخاري، كتاب : فضائل القرآن ، باب: =

وعند الترمذي: فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول اللَّه ﷺ يقرؤها ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فالتمستها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت، أو أبي خزيمة فألحقتها في سورتها.(١)

ويظهر من الأدلة أن الآية الأولى - آية التوبة - فقدت في الجمع الأول، وهو جمع أبي بكر، قال ابن عطية: وهو أصح.(٢)

وفي جمع عثمان فقدت الآية التي في الأحزاب.

وأبو خزيمة الذي وجدت معه آية التوبة، هو غير خزيمة بن ثابت الذي وجدت معه آية الأحزاب، فهذا هو المعروف بذي الشهادتين(٣)، شهد

=جمع القرآن: ٩/ ١١.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥١.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥١ - وتفسير القرطبي: ١/ ٥١ - وعمدة القاري للعيني: ١٦/ ٢٠٠.

(٣) سمي بذي الشهادتين لكونه شهد بتصديق رسول اللَّه ﷺ وذلك حين ابتاع ﷺ فرساً من أعرابي، وقبل أن يقبض رسول اللَّه ﷺ الأعرابي ثمن الفرس ساومه آخرون، فأنكر الأعرابي أن الرسول ﷺ قد ابتاعه منه، وطلب الشهود، فشهد خزيمة بتصديق رسول اللَّه ﷺ. وخزيمة لم يشهد البيع، فجعل ﷺ شهادته بشهادة رجلين. أخرجه أبو داود في سننه: كتاب: الأقضية، باب: إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد يجوز أن يحكم به: ٣/ ٣٠٨ - قال ابن القيم: كان فرضاً على كل من سمع هذه القصة أن=

بدراً وما بعدها، وقتل يوم صفين مع علي - رضي اللَّه عنه -.[(١)]

المسألة الثامنة: حول إثبات النص القرآني:

إن قول زيد - رضي اللَّه عنه -: «فقدت آية من سورة الأحزاب... إلى قوله: فوجدتها مع خزيمة»، وقوله: «فلم أجد فيه هاتين الآيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يوحي بإثبات النص القرآني بقول الواحد، وهو ما ينعق به بعض المبتدعة والملحدين، ويطعنون به في القرآن العظيم، وقد تصدى لهم أهل العلم، وبينوا زيف مقولتهم، ومن أوجه الرد عليهم:

أن خزيمة - رضي اللَّه عنه - لما جاء بهما تذكرهما كثير من الصحابة، وقد كان زيد يعرفهما، ولذلك قال: فقدت آيتين من آخر سورة ﴿التَّوْبَةُ﴾ ولو لم يعرفهما لم يدرِ هل فقد شيئاً أو لا، فالآية إنما ثبتت بالإجماع لا بخزيمة وحده.

ومن ذلك: أنها ثبتت بشهادة خزيمة وحده لقيام الدليل على صحتها

=يشهد أن رسول اللَّه ﷺ قد بايع الأعرابي، وذلك من لوازم الإيمان، والشهادة بتصديقه ﷺ وهذا مستقر عند كل مسلم، ولكن خزيمة تفطن لدخول هذه القضية المعينة تحت عموم الشهادة لصدقه في كل ما يخبر به، فلا فرق بين ما يخبر به عن اللَّه، وبين ما يخبر به عن غيره في صدقه في هذا وهذا، ولا يتم الإيمان إلا بتصديقه في هذا وهذا، فلما تفطن خزيمة دون من حضر لذلك، استحق أن تجعل شهادته بشهادتين. أعلام الموقعين لابن القيم: ٢/ ١٣٨.

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ٩.

في صفة النبي ﷺ، فهي قرينة تغني عن طلب شاهد آخر بخلاف آية ﴿الأَحْزَاب﴾ فإن تلك ثبتت بشهادة زيد وأبي خزيمة لسماعهما إياها من النبي ﷺ.(١)

ومن ذلك: أن زيداً صرح بأنه كان يسمع رسول اللَّه ﷺ يقرأ بها - آية الأحزاب - فهو قد سمعها وعلم موضعها من السورة بتعليم رسول اللَّه ﷺ، وهو إنما تتبع الرجال للاستظهار لا لاستحداث علم. واللَّه أعلم.(٢)

المسألة التاسعة: في التأييد الذي لقيه عثمان - رضي اللَّه عنه - لحرقه المصاحف:

حين نسخ عثمان المصاحف، وأرسل بها إلى النواحي، أمر ما سواها أن تحرق أو تخرق سعياً منه إلى جمع الناس على مصحف واحد، وقد وافقه الصحابة على فعله فكان إجماعاً.

ذكر أبو بكر الأنباري في كتاب (الرد) عن سويد بن غَفَلَة(٣)، قال: سمعت علي بن أبي طالب كرم اللَّه وجهه يقول: يا معشر الناس اتقوا

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٧.

(٢) انظر: تفسير الخازن: ١/ ٩.

(٣) قال ابن حجر في التقريب ١/ ٣٤١: غَفَلَة، بفتح المعجمة والفاء، مخضرم من كبار التابعين توفي سنة (٨٠هـ).

اللَّه! وإياكم والغُلُو في عثمان، وقولكم: حرَّاق المصاحف، فواللَّه ما حرقها إلا على ملأ من أصحاب محمد ﷺ.[١]

وعن عمير بن سعيد[٢] قال: قال علي بن أبي طالب: لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان.[٣]

وعن قتادة قال: قال ابن مسعود: مَنْ كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب رسول اللَّه، فإنهم كانوا أَبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هَدْيَاً، وأحسنها حالاً، اختارهم اللَّه لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، اتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.[٤]

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٤ - والرواية في المقنع: ١٨ - وانظر: نكت الانتصار لنقل القرآن للباقلاني: ٣٥٩ - ومصاعد النظر للبقاعي: ١/ ٤٣٧.

(٢) هو عمير بن سعيد النخعي الصهباني، ثقة، روى عن علي وأبي موسى وابن مسعود وغيرهم، توفي سنة (١٠٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٤٤٣ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٨/ ١٤٦.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٤ - والمصاحف لابن أبي داود: ٣٠ - ونكت الانتصار لنقل القرآن للباقلاني: ٣٥٩ - وفضائل القرآن لأبي عبيد: ١٩٤ ط غاوجي والمرشد الوجيز لأبي شامة: ٥٣.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٩. والمصاحف لابن أبي داود: ١/ ٥٩ - وهكذا صار فعل= =عثمان - رضي اللَّه عنه - سنة متبعة في التخلص من المصاحف التالفة.

المسألة العاشرة: في حرق المصاحف ردٌّ على القائلين بقدم الحروف والأصوات:

قول علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - في الحديث: «وأمر - أي عثمان - بما سوى ذلك من القرآن أن يحرق» وقول عثمان: «إني قد صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم» فيه ردٌّ على الحلولية والحشوية القائلين بقدم الحروف والأصوات، وأن القراءة والتلاوة قديمة، وأن الإيمان والروح قديم[1] كما أن في فعل عثمان - رضي اللَّه عنه - وإقرار الصحابة له بيان لكيفية التخلص من تالف أوراق المصاحف وكتب العلم.

المسألة الحادية عشرة: في اختيار زيد بن ثابت - رضي اللَّه عنه - دون غيره من القراء للجمع:

نصت الروايات السابقة أن أبا بكر وعمر وعثمان - رضي اللَّه عنهم- كلَّفوا زيد بن ثابت لجمع القرآن، مع وجود غيره من الحفاظ الجامعين والسابقين إلى الإسلام، كابن مسعود وأبيّ بن كعب، ومَنْ هُمْ في

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٥ وقد بسط الحديث وردَّ على القائلين بقدم الحروف والأصوات.

قال ابن حجر في الفتح: ٩/ ٢١: استدل بتحريق عثمان الصحف على القائلين بقدم الحروف والأصوات؛ لأنه لا يلزم من كون كلام اللَّه قديماً أن تكون الأسطر المكتوبة في الورق قديمة، ولو كانت هي عين كلام اللَّه لم يستجز الصحابة إحراقها، واللَّه أعلم.

منزلة أعظمُ من منزلة زيد بن ثابت، الأمر الذي جعل بعض من وجد في نفسه أنه أحق من زيد للقيام بهذا العمل الجليل، ونيل هذا الشرف العظيم، أن يكره لزيد ذلك، وأن لا ينقاد لأمر الخليفة عثمان، باعتماد المصحف الإمام، وحرق ما سواه.

فقد ورد عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «أقرأ أمتي أُبيّ بن كعب.»[(١)] «وقال: من سرَّه أن يقرأ القرآن غضاً كما أُنزل فليقرأ بقراءة ابن أم عبد»[(٢)].

ولمكانة ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - عند أهل العراق خاصة، ولما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: «أقرأنا أبي»، كتاب: التفسير، باب: قوله: ما ننسخ من آية، البخاري مع الفتح: ٨/ ١٦٧ - والترمذي في السنن، كتاب: المناقب، باب: مناقب معاذ وزيد...: ٥/ ٦٦٥ بلفظ: وأقرؤهم لكتاب اللَّه أُبي، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في سننه، المقدمة: ١/ ٥٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند من رواية عمر: ١/ ٧ - ٢٦ - ٣٨ - ٤٤٥ - وابن ماجه في سننه: ١/ ٤٩ - وقال الهيثمي في المجمع: ٩/ ٢٨٧: رواه أحمد والطبراني وفيه عاصم بن أبي النجود وهو على ضعفه حسن الحديث، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير فرات بن محبوب وهو ثقة... وقال الحافظ العراقي: أخرجه أحمد والنسائي في الكبرى من حديث عمر، والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود، وقال الترمذي: حسن صحيح. تخريج الأحياء: ١/ ٢٨٠ وقد روى هذا الحديث من عدة طرق، ومن عدد من الصحابة، انظر في ذلك مجمع الزوائد: ١٠/ ٢٨٧ - ٢٨٨.

رأى من أولويته للقيام بهذا الأمر، أشار على أهل العراق برفض هذا العمل، والاحتفاظ بالمصاحف التي في أيديهم.

قال ابن شهاب في الحديث الذي أخرجه الترمذي: أخبرني عبيد اللَّه بن عبد اللَّه أن عبد اللَّه ابن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف، وقال: يا معشر المسلمين أعْزَلُ عن نسخ المصاحف ويتولاه رجل، واللَّه لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر - يريد زيد بن ثابت - ولذلك قال: يا أهل العراق، اكتموا المصاحف التي عندكم، وغُلُّوها فإن اللَّه عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] فالقوا اللَّه بالمصاحف.(١)

ويعلل أبو بكر الأنباري هذا العمل من ابن مسعود رضي اللَّه عنه، وما بدا منه من نكير بأن ذلك كان نتيجة الغضب، وهو أمر لا يؤخذ به، بدليل أنه رضي اللَّه عنه حين زال الغضب عرف حسن اختيار عثمان ومن ومعه من أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وبقي على موافقتهم، وترك الخلاف معهم.(٢)

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة التوبة: ٥/ ٢٨٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح - أخرجه ابن أبي داود في المصاحف: ١٧ - وأبو عبيد في الفضائل: ١٥٥ ط غاوجي - وأورده الذهبي في السير: ١/ ٤٨٧ - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٤ - وفتح الباري لابن حجر: ٩/ ١٧.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٣ - ونكت الانتصار لنقل القرآن للباقلاني: ٣٦٤.

وقد جاء اختيار زيد بن ثابت نتيجة حفظه للقرآن بمحضر من رسول اللَّه ﷺ، ولكونه من ألزم الناس كتابة للوحي عند رسول اللَّه ﷺ ثم لما كان يتمتع به من الشباب والنشاط، وهي الخصال التي ذكرتها الرواية الواردة في جمع أبي بكر السابقة، فكونه شاباً يكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلاً يكون أوعى له، وكونه لا يُتَّهَمُ تركن النفس إليه، وكونه كان يكتب الوحي يكون أكثر ممارسة، وهي الصفات التي أهَّلته لجمعه زمن عثمان[1]، ولهذا يقول ابن الأنباري: لم يكن الاختيار لزيد من أبي بكر وعمر وعثمان على عبد اللَّه بن مسعود في جمع القرآن، وعبد اللَّه أفضل من زيد، وأقدم في الإسلام، وأكثر سوابق، وأعظم فضائل إلا لأن زيد أحفظ للقرآن من عبد اللَّه، إذ وعاه كله ورسول اللَّه ﷺ حيٌّ، والذي حفظ منه عبد اللَّه نيفٌ وسبعون سورة، ثم تعلم الباقي بعد وفاة رسول اللَّه ﷺ، فالذي ختم القرآن وحفظه ورسول اللَّه ﷺ حي أولى بجمع المصحف.[2]

ثم إن الموضوع يتعلق بالكتابة وزيد هو كاتب النبي ﷺ وإذا أطلق الكاتب انصرف إليه.

---

(١) انظر: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية لغانم قدوري: ١٠٤.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٣ والمقنع للداني: ١٢١ - وقد سبق الخلاف في حفظ ابن مسعود القرآن كاملاً زمن النبي ﷺ.

والحق أن ما أوكل إلى زيد بن ثابت شرف عظيم، غير أنه ليس مقياساً للخيرية، كما أنه ليس طعناً في الذين لم يوكل إليهم العمل، ولا أدل على ذلك من تقديم زيدٍ على أبي بكر وعمر رضي اللَّه عنهما، لكونه أحفظ منهما وليس هو خير منهما ولا مساوياً لهما في الفضائل والمناقب، ولهذا فتقديم زيد على ابن مسعود لم يكن طعناً فيه ولا انتقاصاً منه.(١)

المسألة الثانية عشرة: حول ما ورد من كون علي - رضي اللَّه عنه - هو أول من جمع القرآن:

ذهب ابن جُزي من بين المفسرين إلى كون علي - رضي اللَّه عنه - هو أول من جمع القرآن بعد وفاة رسول اللَّه ﷺ.(٢)

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٣ - ونكت الانتصار لنقل القرآن للباقلاني: ٣٦٧ - وقد قيل: قُدِّم زيد لكونه شهد العرضة الأخيرة. وقيل: إنما أوكل العمل إلى زيد وهو بالمدينة، وعبد اللَّه يومها بالكوفة، فلم يؤخر عثمان رضي اللَّه عنه ذلك إلى أن يرسل إلى ابن مسعود ويحضره. وقيل غير ذلك. انظر: فتح الباري لابن حجر: ٩/ ١٩ - والمستدرك للحاكم: ٢/ ٢٢٩ - وجوامع السيرة لابن حزم: ٢٦.

(٢) ومعتمده في ذلك ما رواه ابن أبي داود في المصاحف بسنده عن أشعث عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي ﷺ أقسم علي أن لا يرتدي برداء إلى لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف، ففعل. فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام: أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا إلا أني أقسمت ألا أرتدي برداء إلا لجمعة. فبايعه ثم رجع.

المصاحف لابن أبي داود: ١٠ قال: لم يذكر (المصحف) إلا أشعث وهو لين الحديث، وإنما رووا: حتى أجمع القرآن؛ بمعنى أتمَّ حفظه، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن أنه جمع=

ويقول: كان القرآن على عهد رسول اللَّه ﷺ متفرقاً في الصحف وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول اللَّه ﷺ قعد علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - في بيته فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير ولكنه لا يوجد.(١)

=القرآن. اهـ. قال ابن عقيلة المكي: والحمل على جمعه في الصدر ينافيه ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصاحف عن ابن سيرين وفيه: أنه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ...» الزيادة والإحسان: ٢/ ٥٨٦.

ثم أخرج عن عبد بن خير عن علي بسند حسن أنه قال: أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر - رحمة اللَّه على أبي بكر - هو أول من جمع كتاب اللَّه. المصاحف: ٥.

ولضعف الرواية الأولى لم يذكرها المفسرون في مقدماتهم، كما ضعَّفها ابن حجر لانقطاعها، ورجح رواية عبد بن خير هذه لأنها أصح. فتح الباري: ٩/ ١٢ وأخرجها ابن الضريس في فضائله: ٣٦ وأوردها ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق في ترجمة الإمام علي: ٢٨ وفي الزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: ٢/ ٥٨٦: عن جمع علي أنه جمع خاص له ولأهل العلم مثله، وهو أنه جمع القرآن وضم إليه تفسير آياته، والناسخ والمنسوخ منها فصار نفعه خاصاً بأهل العلم، بخلاف جمع سيدنا أبي بكر بأنه أول ما جمعه جمعاً عاماً يتداوله كل أحد.

ويقول الزرقاني عن رواية جمع علي السابقة: «فقصاراها أن تثبت أن علياً أو بعض الصحابة كان قد كتب القرآن في مصحف، لكنها لا تعطي هذا المصحف تلك الصفة الإجماعية، ولا تخلع عليه تلك المزايا التي للمصحف المجموع في عهد أبي بكر، بل هي مصاحف فردية. مناهل العرفان: ١/ ٢٥٤.

(١) تفسير ابن جزي: ١/ ٦.

المسألة الثالثة عشرة: حكم مخالفة مصحف عثمان بالزيادة والنقصان:

أجمعت الأمة الإسلامية أن القرآن اسم لكلام اللَّه الذي جاء به محمد بن عبد اللَّه ﷺ معجزة خالدة له، وأنه محفوظ في الصدور، مقروء باللسان، مكتوب في المصاحف، معلومة سُوَرُه وآياته، مبرّأة من الزيادة والنقصان حروفه وكلماته، ومن ادَّعى زيادة عليه أو نقصاناً منه فقد أبطل الإجماع، وردَّ ما جاء به الرسول ﷺ من القرآن المنزَّل، وردَّ قوله تعالى ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨]، وأبطل آية رسول اللَّه ﷺ الدالَّة على صدقه، لأنَّه إذ ذاك يصير القرآن مقدوراً عليه، فلا يكون حجة ولا آية.(١)

وقد زعم بعض من زاغ عن الملة، وخرج عن إجماع المسلمين متبعاً هواه حتى ضلَّ به عن سواء السبيل، فادَّعى أن مصحف عثمان لم يشتمل على جميع القرآن، كما ادَّعى أن فيه زيادة في مواضع، وإسقاطاً في مواطن، وأنه اشتمل على تصحيف حروف مفسدة مغيّرة، وأن عثمان أخطأ ولم يصب في إسناد الجمع إلى زيد بن ثابت، وغير ذلك مما أجاز به لنفسه مخالفة مصحف عثمان، والقراءة بما يراه، مدعياً أن من الصحابة من قرأ بما يخالف

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٨٠.

به مصحف عثمان... إلى غير ذلك مما أوحاه إليه شياطين الإنس والجن.

وقد انبرى له ولأمثاله ثلة من أهل العلم، فتصدوا لافتراءاتهم، وبينوا زيف مقولاتهم الفاسدة، حتى انجلى الحق وبان، كابن الأنباري والباقلاني وغيرهما من أئمة الإسلام، حيث أوضحوا حكم الشرع فيهم، وأنزلوهم منزلة مَنْ يدعي أن الصلوات المفروضة هي خمسون صلاة، وأن تزويج تسع من النساء حلال، وغير ذلك مما لم يثبت في الدين، ويحكم على معتقده بالكفر المبين، وقد نقل القرطبي بعض مقولات هذا الزائغ، فكان مما قال:

- أن المصحف الذي جمعه عثمان - رضي اللَّه عنه - لا يشتمل على جميع القرآن، إذ كان قد أسقط منه خمسمائة حرف، وذكر أن من القرآن (والعصر ونوائب الدهر) فادَّعى أن جماعة المسلمين أسقطوا «ونوائب الدهر»[1]. وذكر أن منه (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس، وما كان اللَّه ليهلكها إلا بذنوب أهلها) فادَّعى أنه سقط على أهل الإسلام من القرآن (وما كان اللَّه ليهلكها إلا بذنوب أهلها) وذكر غير ذلك.

قال أبو بكر الأنباري: وذكر هذا الإنسان أن أُبيَّ بن كعب هو الذي قرأ (كأن لم تغن بالأمس وما كان اللَّه ليهلكها إلا بذنوب أهلها) وذلك

---

(١) هي قراءة شاذة. انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ١٧٩.

باطل، ولأن عبد اللَّه بن كثير قرأ على مجاهد، ومجاهد قرأ على ابن عباس، وابن عباس قرأ القرآن على أُبيّ بن كعب ﴿حَصِيداً كَأَن لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾، وفي رواية: وقرأ أُبيّ القرآن على رسول اللَّه ﷺ. وهذا الإسناد متّصل بالرسول عليه السلام، نقله أهل العدالة والصِّيانة، وإذا صحَّ عن رسول اللَّه ﷺ أمرٌ لم يؤخذ بحديث يخالفه.

وقال يحيى بن المبارك اليزيدي: قرأت القرآن على أبي عمرو بن العلاء، وقرأ أبو عمرو على مجاهد، وقرأ مجاهد على ابن عباس، وقرأ ابن عباس على أُبيّ بن كعب، وقرأ أُبيّ على النبي ﷺ، وليس فيها (وما كان اللَّه ليهلكها إلا بذنوب أهلها) قال: فمن جحد أن هذه الزيادة أنزلها اللَّه تعالى على نبيه عليه السلام فليس بكافر ولا آثم[1].

- كما ادَّعى أن عثمان والصحابة - رضي اللَّه عنهم - زادوا في القرآن ما ليس فيه، فقرأ في صلاة الفرض والناس يسمعون: (اللَّه الواحد الصمد) فأسقط ﴿قُلْ هُوَ﴾ وغيَّر لفظ ﴿أَحَدٌ﴾، مدَّعياً أن ما قرأ به هو الصواب[2].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٨٣.

(٢) قال أهل التفسير: نزلت الآية جواباً لأهل الشرك، لما قالوا لرسول اللَّه ﷺ: صِف لنا رَبَّك. أمِنْ ذهب أم من نحاس أم من صُفْر؟ فقال عز وجل رداً عليهم: ﴿قل هو اللَّه أحد﴾ ففي ﴿هو﴾ دلالة على موضع الردِّ ومكان الجواب، فإذا أسقط بطل معنى الآية. تفسير القرطبي: ١/ ٥٨ - وفي القراءة انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ١٨٢.

- وذكر دليلاً لافترائه بأن مصحف عثمان اشتمل على حروف مفسدة مغيّرة قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، وادَّعى أن الحكمة والعزة لا يشاكلان المغفرة، وأن الصواب: «وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم»[(١)]. وأدخل في آية من القرآن ما لا يضاهي فصاحة رسول اللَّه ولا يدخل في لسان قومه وادعى أنه من القرآن، وغير ذلك مما لا يُعرف في نحو المعربين، ولا يحمل على مذاهب النحويين[(٢)].

- وذكر هذا القائل أن له أن يخالف مصحف عثمان كما خالفه أبو عمرو بن العلاء، فقرأ «إنّ هذيْن» «فأصدق وأكون» «وبشر عباديَ الذين» بفتح الياء وغير ذلك.

وكما خالف ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي مصحف عثمان فقرأوا ﴿كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣] بإثبات نونين، يفتح الثانية بعضهم ويسكنها بعضهم. وكما قرأ حمزة (أَلا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ) بغير تنوين وإثبات الألف يوجب التنوين، وهو مما شنَّع به على القرّاء، إلى غير ذلك من الادعاءات والافتراءات التي افترى بها على كتاب اللَّه الذي

---

(١) يقول العلامة صديق خان: قال ذلك على وجه التسليم لأمر اللَّه والانقياد له، ولهذا عدل عن الغفور الرحيم إلى العزيز الحكيم، وقيل: قاله على وجه الاستعطاف كما يستعطف السيد بعبده. فتح البيان: ٣/ ١٢٣.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٨٢.

﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

قال أبو عبيد: ما يُروى من الحروف التي تخالف المصحف الذي عليه الإجماع من الحروف التي يعرف أسانيدها الخاصة دون العامة فيما نقلوا فيه عن أبي وعن ابن عباس وما حكوه عن عمر بن الخطاب، لم ينقلها أهل العلم على أن الصلاة بها تحل، ولا أنها معارَض بها مصحف عثمان؛ لأنها حروف لو جحدها جاحد أنها من القرآن لم يكن كافراً؛ والقرآن الذي جمعه عثمان بموافقة الصحابة له لو أنكر بعضه منكر كان كافراً، حكمه حكم المرتد يُستتاب؛ فإن تاب وإلا ضُربت عنقه.

وقال أبو بكر الباقلاني: وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] دلالة على كفر هذا الإنسان؛ لأن اللَّه عزَّ وجلَّ قد حفظ القرآن من التغيير والتبديل، والزيادة والنقصان[1].

قال: وفيه إبطال الإجماع الذي به يحرس الإسلام، وبثباته تقام الصلوات، وتؤدى الزكوات وتتحرى المتعبّدات.

وفي قوله تعالى: ﴿الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود: ١] دلالة على بدعة هذا الإنسان، وخروجه إلى الكفر؛ لأن معنى ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ منع الخلق من القدرة على أن يزيدوا فيها، أو ينقصوا منها، أو يعارضوها بمثلها.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٨٤.

وهذا الإنسان قد زاد فيها، وأسقط منها، والإسقاط نفي له وكفر بـه، ومـن كفر بحرف من القرآن فقد كفر به كله وأبطل معنى الآية[١].

وقد ضرب الأئمة أمثلة تؤكد فساد مقولة هذا المدعي ونحلتـه، وتبـين زيف دعاويهم، كأن يقال لهم: أخبرونا عن القرآن الذي نقـرؤه ولا نعـرف نحن ولا مَنْ كان قبلنا من أسلافنا سواه؛ هل هو مشتمل على جميـع القـرآن من أوله إلى آخره، صحيح الألفاظ والمعاني، عارٍ عـن الفسـاد والخلـل؟ أم هو واقع على بعض القرآن، والبعـض الآخـر غـائب عنـا كمـا غـاب عـن أسلافنا والمتقدمين من أهل ملتنا؟

فإن أجابوا بأن القرآن الذي معناه مشتمل على جميع القـرآن لم يسـقط منه شيء، صحيح الألفاظ والمعاني، سليمها من كل زلل وخلل؛ فقد قضوا على أنفسهم بالكفر حين زادوا فيه «فليس له اليوم ههنـا حميـم، وليـس لـه شراب إلا من غسلين، من عـين تجـري مـن تحـت الجحيـم» فـأي زيـادة في القرآن أوضح من هذه، وكيف تخلط في القرآن وقد حرسه اللَّه منهـا ومنـع كل مُفتَر ومُبطل من أن يلحق بها مثلها، وإذا تُؤُمِّلـتْ وبُحـث عـن معناهـا وُجدت فاسدة غير صحيحة، لا تشاكل كلام الباري تعالى ولا تخلط به، ولا توافق معناه، وذلـك أن بعدهـا ﴿لا يَأْكُلُـهُ إِلاَّ الْخَـاطِؤُونَ﴾ [الحاقـة: ٣٧] فكيف يؤكل الشراب، والذي أتى به قبلها: «فليس لـه اليـوم هاهنـا حميـم،

---

(١) المصدر السابق.

وليس له شراب إلا من غسلين من عين تجري من تحت الجحيم لا يأكله إلا الخاطئون». فهذا متناقض يفسد بعضه بعضاً، لأن الشراب لا يؤكل، ولا تقول العرب: أكلت الماء. لكنهم يقولون: شربته، وذقته، وطعمته؛ ومعناه فيما أنزل اللَّه تبارك وتعالى على الصحة في القرآن الذي مَن خالف حَرْفاً منه كفر. ﴿وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ لا يأكل الغسلين إلا الخاطئون، أو لا يأكل الطعام إلا الخاطئون. الغسلين: ما يخرج من أجوافهم من الشحم وما يتعلق به من الصَّديد وغيره؛ فهذا طعام يؤكل عند البلية والنقمة، والشراب محال أن يؤكل.

فإن ادّعى هذا الإنسان أن هذا الباطل الذي زاده من قوله «من عين تجري من تحت الجحيم» ليس بعدها ﴿لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِؤُونَ﴾، ونفى هذه الآية من القرآن لِتَصحّ له زيادته، فقد كفر لما جحد آية من القرآن.

وأما ما ورد عن بعض الصحابة والتابعين - رضي اللَّه عنهم - أنهم قرأوا بكذا وكذا فهو على جهة البيان والتفسير، لا أن ذلك قرآن يُتلى، وكذلك ما نُسخ لفظه وحكمه أو لفظه دون حكمه ليس بقرآن.[1]

القسم الثاني: ترتيب القرآن

وفيه ثلاث مسائل وفائدة:

المسألة الأولى: حول ترتيب الآيات:

---

(١) المصدر السابق: ١/ ٨٥.

يقول الخازن: كان رسول اللّه ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف من جبريل عليه السلام إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقيب آية كذا في سورة كذا[١].

روى أبو بكر بن العياش[٢] بسنده عن ابن عباس قال: آخر ما نزل من القرآن ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠] فقال جبريل للنبي عليه السلام: يا محمد ضعها في رأس ثمانين ومائتين من البقرة.[٣]

ونقل ابن عطية عن مكي قوله: إن ترتيب الآيات في السور ووضع البسملة في الأوائل هو من النبي ﷺ، ولما لم يأمر بذلك في أول سورة ﴿بَرَاءةٌ﴾ تُركت بلا بسملة. قال القرطبي: هذا أصح ما قيل في ذلك.[٤]

---

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٠.

(٢) هو أبو بكر بن عيَّاش بن سالم الأسدي، قيل اسمه شعبة، شيخ الإسلام، فقيه، محدث، مقرئ، وثقه ابن معين وغيره، وتوفي سنة (١٩٣هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ٨/ ٥٠٧ - وشذرات الذهب لابن العماد: ١/ ٣٣٤.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٠.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٣ - وتفسير القرطبي: ١/ ٥٩.

وقد أجمع أهل العلم أن ترتيب الآيات في السور توقيفي، ونقل الإجماع على ذلك الزركشي في البرهان، وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته، وعبارته: ترتيب الآيات في=

كما حذر أهل العلم الأعراض عن ترتيب المصحف العثماني، ومحاولة اتخاذ ترتيب آخر لآياته أو سوره، وفي ذلك يقول القرطبي نقلاً عن ابن الأنباري: من عمل على ترك الأثر، والإعراض عن الإجماع، ونظم السور على منازلها بمكة والمدينة، لم يدر أين تقع الفاتحة لاختلاف الناس في موضع نزولها، ويضطر إلى تأخير الآية التي في رأس خمس وثلاثين ومائتين من البقرة إلى رأس الأربعين، ومن أفسد نظم القرآن فقد كفر به، وردَّ على محمد ﷺ ما حكاه عن ربه تعالى.(١)

المسألة الثانية: حول ترتيب النزول:

قال الخازن: كان القرآن ينزل على رسول الله ﷺ مدة رسالته نجوماً عند الحاجة وحدوث ما يحدث، فكان ﷺ يلقنه أصحابه، مبيناً لهم موضعه ومكانه من التنزيل، فكانوا يحفظون موضعه كما يحفظون نصه، وكان أول

=سورها واقع بتوقيفه عليه السلام وأمره، من غير خلاف في هذا بين المسلمين. وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا. انظر: البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير: ٧٣ والبرهان للزركشي: ١/ ٢٥٦، والإتقان للسيوطي: ١/ ١٩٣ - وانظر فتح الباري لابن حجر: ٩/ ٤٠ - والنصوص الدالة على ذلك كثيرة مبسوطة في مظانها، ينظر في المستدرك للحاكم: ٢/ ٢٢٩ والمصاحف لابن أبي داود: ٧ - وشرح السنة للبغوي: ٤/ ٩١ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٥٦٤ - ٥٧١.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٢.

ما نزل بمكة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ثم ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ ثم ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ ثم ﴿المدّثر﴾ ثم ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ ثم ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ثم ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ ثم ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ثم ﴿وَالْفَجْرِ﴾ ثم ﴿وَالضُّحَى﴾ ثم ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ ثم ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ثم ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ ثم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ثم ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ثم ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي﴾ ثم ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ثم ﴿الفيل﴾ ثم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم ﴿وَالنَّجْمِ﴾ ثم ﴿عَبَسَ﴾ ثم ﴿سورة القدر﴾ ثم ﴿البروج﴾ ثم ﴿وَالتِّينِ﴾ ثم ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ﴾ ثم ﴿القارعة﴾ ثم ﴿الْقِيَامَةِ﴾ ثم ﴿الهُمَزَة﴾ ثم ﴿المرسلات﴾ ثم ﴿قَاف﴾ ثم ﴿سورة البَلد﴾ ثم ﴿الطارق﴾ ثم ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ ثم ﴿صَاد﴾ ثم ﴿الأعراف﴾ ثم ﴿الْجِنّ﴾ ثم ﴿يس﴾ ثم ﴿الْفُرْقَانَ﴾ ثم ﴿فَاطِر﴾ ثم ﴿مَرْيَمَ﴾ ثم ﴿طه﴾ ثم ﴿الواقعة﴾ ثم ﴿الشعراء﴾ ثم ﴿النمل﴾ ثم ﴿الْقَصَصُ﴾ ثم ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ثم ﴿يونس﴾ ثم ﴿هود﴾ ثم ﴿يوسف﴾ ثم ﴿الْحَجَرُ﴾ ثم ﴿الأَنْعَامُ﴾ ثم ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ ثم ﴿لقمان﴾ ثم ﴿سَبَأ﴾ ثم ﴿الزمر﴾ ثم ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ ثم ﴿السجدة﴾ ثم ﴿حم عسق﴾ ثم ﴿الزخرف﴾ ثم ﴿الدخان﴾ ثم ﴿الجاثية﴾ ثم ﴿نُوح﴾ ثم ﴿إِبْرَاهِيم﴾ ثم ﴿الأنبيَاء﴾ ثم ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ ثم ﴿تنزيل السَّجْدة﴾ ثم ﴿الطُّور﴾ ثم ﴿الْمُلْكُ﴾ ثم ﴿الحاقة﴾ ثم ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ ثم ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ﴾ ثم ﴿النازعات﴾ ثم ﴿إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ﴾ ثم ﴿إِذَا السَّمَاء

انشَقَّتْ﴾ ثم ﴿الروم﴾ ثم ﴿العنكبوت﴾[١] وهي ثلاث وثمانون سورة على ما استقرّت عليه روايات الثقات[٢].

وأما ترتيب المدني من السور وهي واحد وثلاثون سورة، فهي على ترتيب الآتي:

﴿سورة البقرة﴾ ثم ﴿الأنفال﴾ ثم ﴿آل عمران﴾ ثم ﴿الأحْزَاب﴾ ثم ﴿الممتحنة﴾ ثم ﴿النِّسَاء﴾ ثم ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ﴾ ثم ﴿الْحَدِيد﴾ ثم ﴿سورة محمد﴾ ثم ﴿الرعد﴾ ثم ﴿الرَّحْمن﴾ ثم ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ﴾ ثم ﴿الطَّلاق﴾ ثم ﴿لَّمْ يَكُنْ﴾ ثم ﴿الحشر﴾ ثم ﴿الفلق﴾ ثم ﴿النَّاس﴾ ثم ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ثم ﴿النُّور﴾ ثم ﴿الْحَجّ﴾ ثم ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾ ثم ﴿المجادلة﴾ ثم ﴿الحجرات﴾ ثم ﴿التحريم﴾ ثم ﴿الصف﴾ ثم ﴿الجمعة﴾ ثم ﴿التغابن﴾ ثم ﴿الْفَتْحُ﴾ ثم ﴿التَّوْبَةُ﴾ ثم ﴿المائدة﴾. قال الخازن: ومنهم من يقدم المائدة على التوبة، كما اختلف في سور هل هي مكية أو مدينة.[٣]، ولا يعني هذا أن السورة بتمامها نزلت قبل التي تليها، بل المراد أن فاتحتها نزلت قبل فاتحة التي تليها.

هذا وترتيب المصحف الذي بين أيدينا ليس حسب النزول، إذ لو كان

---

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٠.

(٢) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١١ - والبرهان للزركشي: ١/ ١٩٣.

(٣) انظر: تفسير تفسير الخازن: ١/ ١١.

كذلك لوجب أن ينتقض ترتيب الآيات داخل السورة، فقد صح وثبت أن الآيات كانت تنزل بالمدينة فتوضع في السورة المكية، كما كان ﷺ يأمر بذلك، ويبين موضعها بإشارة من جبريل، تقول السيدة عائشة - رضي اللَّه عنها -: وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده - تعني بالمدينة - وقد قدمتا في المصحف على ما نزل قبلهما بمكة[1].

المسألة الثالثة: حول ترتيب السور في المصحف العثماني:

اختلف السلف في ترتيب السور، فمنهم من كتب في مصحفه السور على تاريخ نزولها، وقدم المكي على المدني، ومنهم من جعل في أول مصحفه الحمد، ومنهم من جعل في أوله ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ومنهم من فعل غير ذلك، مما أحدث إشكالاً لدى الناظر في حكم ترتيب السور في المصحف العثماني، وحصيلة أقوال أهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال: ذهب القاضي أبو بكر الباقلاني - كما ذكر ابن عطية - وابن جزي أنه توفيقي وقع باجتهاد من الصحابة، وذهب آخرون إلى أنه توقيفي من الشارع ومنهم القرطبي والخازن، وتوسط غيرهم فقالوا أكثره توقيفي وأقله توفيقي باجتهاد الصحابة ومنهم ابن عطية. وتفصيل ذلك:

الرأي الأول: أنه توقيفي باجتهاد من الصحابة: وقد انتصر لهذا الرأي من المفسرين ابن جزي فقال: ترتيب السور على ما هو الآن من فعل

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦١.

عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصحف، وقد قيل: إنه من فعل رسول اللَّه ﷺ؛ وذلك ضعيف ترده الآثار الواردة في ذلك[١].

وهو رأي القاضي أبي بكر الباقلاني الذي قال: وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد ومن كان معه، مع مشاركة من عثمان - رضي اللَّه عنه - كما ذهب إليه مكي - رحمه اللَّه - في تفسير سورة براءة.[٢] وقد ذكر ابن عطية أن جمع زيد بأمر أبي بكر لم تكن السور فيه مرتبة[٣]، وعلى ذلك جاء ترتيب مصحف عثمان - الذي اتخذ المصحف الذي في حوزة حفصة أم المؤمنين إماماً - باجتهاد من زيد وعثمان ومن معهم.

الرأي الثاني: أن ترتيب أكثر السور توقيفي من الشارع: وانتصر لهذا الرأي ابن عطية فقال: وظاهر الآثار أن السبع الطوال والحواميم والمفصَّل كان مرتباً في زمن النبي ﷺ، وكان في السور ما لم يرتب، فذاك هو الذي رُتِّبَ وقت الكَتْبِ[٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٧.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٣ - وتفسير القرطبي: ١/ ٥٩.

(٣) انظر تفسيره: ١/ ٥١.

(٤) انظر: تفسير اين عطية: ١/ ٥٣.

وممن انتصر لهذا الرأي أيضاً أبو جعفر بن الزبير الغرناطي، فقال مضيفاً لقول ابن عطية: الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية، ويبقى منها- أي من السور- قليل يمكن أن يجري فيه الخلاف. انظر البرهان: ١/ ٢٧٥. وفيه إشارة إلى ﴿الأنفال﴾ و﴿براءة﴾=

.....

=وهو ما ذهب إليه البيهقي. وقال السيوطي: وهو ما ينشرح له الصدر: أن ترتيب جميع السور توقيفي إلا براءة والأنفال. دلائل النبوة: ٧/ ١٥٢ - والإتقان: ١/ ١٩٨ وعن الحافظ ابن حجر: ترتيب بعض السور على بعض أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفاً، وإن كان بعضه جاء من اجتهاد الصحابة. فتح الباري: ٩/ ٢.

وقد استدل من ارتضى هذا الرأي بما أخرجه الحاكم - وغيره - بسنده إلى أبي يزيد الفارسي قال: قال لنا ابن عباس: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى ﴿الأنفال﴾ وهي من المثاني وإلى ﴿براءة﴾ وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿بسم اللَّه الرحمن الرحيم﴾ ووضعتموها في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: إن رسول اللَّه ﷺ كان يأتي عليه الزمان تنزل عليه السور ذوات عدد، فكان إذا أنزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتبه فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، فكانت ﴿الأنفال﴾ من أوائل ما نزل بالمدينة، و﴿براءة﴾ من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقبض رسول اللَّه ﷺ ولم يبين لنا أنها منها فظننا أنها منها، فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب ﴿بسم اللَّه الرحمن الرحيم﴾. المستدرك: ٢/ ٢٢١، وأخرجه البيهقي في الدلائل: ٧/ ١٥٢. كما استشهدوا بأدلة أخرى ليس هذا مكان بسطها.

قلت: قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتُبين للناس ما نُزِّلَ إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ [النحل: ٤٤] وقول عقمان في الأثر «ولم يبين لنا» صريح في تعارضه مع نص الآية ولهذا طُعِنَ في الأثر من جهة سنده ومتنه، وقد استفاض الدكتور عبد السميع حسنين في التعليق عليه في تحقيقه لكتاب مصاعد النظر للبقاعي: ١/ ٤٤٣ - ٤٤٨، وخلاصة ما ذكره: أن في إسناده نظراً كبيراً، بل إن الأستاذ المحقق أحمد شاكر ذكر أنه ضعيف جداً بل لا أصل له، وساق الأدلة الدامغة على ذلك ، هذا من جهة السند، أما من جهة المتن فقد ذكر عن أستاذه أحمد محمد يوسف القاسم في كتابه « الإعجاز البياني في ترتيب =

الرأي الثالث: أن ترتيب السور توقيفي من الشارع: وهو رأي القرطبي والخازن، صرَّحا بذلك في مقدمتيهما.

قال القرطبي: وقال قوم من أهل العلم إن تأليف سور القرآن على ما

=القرآن الكريم وسوره» قوله: وهذا - أي ضم براءة إلى الأنفال بغير بيان رسول اللَّه ﷺ - غير مسلَّم إذ كيف نثبت في المصحف أمراً على مجرد الظن ومن عثمان وحده. ثم إن قوله «إن رسول اللَّه ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان..... الخ» يدل في الجملة على التوقيف في القرآن. وقوله «فقبض رسول اللَّه ﷺ ولم يبين لنا أنها منها» بعيدٌ إذ ﴿الأنفال﴾ نزلت في السنة الثانية عقب غزوة بدر، وسورة ﴿التوبة﴾ نزلت في أواخر التاسعة بعد غزوة تبوك، وبعد خروج أبي بكر على رأس المسلمين إلى الحج، فكيف يُعْقَلُ أن يظل رسول اللَّه ﷺ زهاء خمسة عشر شهراً ولا يُبين للناس أنها منها أو غيرها؟ إنه بذلك يكون قد تأخر عن البيان في وقت الحاجة إليه، بل وما تقبل البيان، وحاشاه ﷺ أن يفعل ذلك، ثم إن إطلاق الاسم على كل منهما واختلافه فيهما يعين أن هذه غير تلك، فقد سمى النبي ﷺ كلاً منهما.

إلى أن قال: ثم إن عثمان - رضي اللَّه عنه - يقول: «فظننت أنه منها» وظنه هذا ليس حجة في أمر القرآن، فإنه وإن لم يقف على ما يفيد القطع في ﴿براءة﴾ و﴿الأنفال﴾ وفعل ما فعل بناء على ظنه إلا أن غيره وقف، وقبل ما فعله ولم يتوقف. اهـ.

قلت: النصوص التي جاءت تشهد أن أغلب السور كانت مرتبة بتوقيف النبي ﷺ، وليس معنى هذا أن السور الأخرى لم تكن مرتبة، أو ليس لها أدلة عند الصحابة الذين رتبوا مصاحفهم، حتى جاءت تلك المصاحف شبيهة في الترتيب إلى حد بعيد. بل قد يكون غاب عن بعضهم ما لم يغب عن الآخرين. واللَّه أعلم.

هو عليه في مصاحفنا كان عن توقيف من النبي ﷺ[١].

وقال الخازن: أمر - أبو بكر - بجمع المصحف في موضع واحد باتفاق من جميع الصحابة، فكتبوه كما سمعوه من رسول اللَّه ﷺ من غير أن قدموا وأخروا شيئاً، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول اللَّه ﷺ... إلى أن قال: فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الآن.[٢]

وقد استدل القائلون بهذا الرأي بعدة أدلة منها:

ما رواه يونس عن ابن وهب قال: سمعت مالكاً يقول: إنما أُلِّف القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول اللَّه ﷺ[٣].

وبما صح عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام مرة في رمضان، وأنه عرضه العام الذي توفي فيه مرتين[٤].

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٦٠.

(٢) تفسير الخازن: ١/ ١٠.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١٠/ ٦٠.

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر: ٩/ ٤٣.

ولا شك أن عرض جبريل للقرآن كان مرتباً سوره وآياته، ولهذا كلَّف أبو بكر زيداً بالجمع وهو من شهد العرضة الأخيرة، وقرأ على النبي ﷺ في العام الذي توفي فيه مرتين، فلا شك أنه رتبه على نحو ما سمعه من النبي ﷺ[1].

وبما ذكره ابن وهب في «جامعه» قال: سمعت سليمان بن بلال يقول: سمعت ربيعة يسأل: لِمَ قُدِّمت البقرة وآل عمران، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة، وإنما نزلتا بالمدينة؟!

فقال ربيعة: قد قُدِّمتا وأُلِّف القرآن على علم ممن ألَّفه، وقد اجتمعوا على العلم بذلك، فهذا مما ننتهي إليه ولا نسأل عنه[2].

وقد ذكر ابن الأنباري في كتابه الرد على من خالف مصحف عثمان: أن اللَّه تعالى أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا، ثم فرِّق على النبي ﷺ في عشرين سنة، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر يسأل، ويوقف جبريل رسول اللَّه ﷺ على موضع السورة والآية، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف، فعله عن محمد خاتم النبيين عليه السلام عن رب العالمين.

وقال: فمن أخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة فهو كمن أفسد

---

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٠.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٩.

نظم الآيات، وغيَّر الحروف والكلمات، ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الأنعام، والأنعام نزلت قبل البقرة لأن رسول اللَّه ﷺ أخذ هذا الترتيب وهو كان يقول: ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن[١].

وأما ما روي من اختلاف في ترتيب مصاحف ثلة من الصحابة، فإنما كان قبل العرض الأخير، وأن رسول اللَّه ﷺ رتَّب لهم تأليف السور بعد أن لم يكن فعل ذلك[٢].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٩.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٠.

قلت: والذي يظهر لي بعد استعراض الأدلة أن الراجح هو القول بأن ترتيب السور تمَّ بتوقيف من الرسول ﷺ. وأن ما فعله زيد حين الجمع كان لعلمه بترتيب رسول اللَّه ﷺ يوم عرض القرآن عليه، فهو مرتب من قِبَل اللَّه تعالى، ومن قبل رسول اللَّه ﷺ على الوجه الذي نقل.

وإضافة إلى ما ذُكر من الأدلة يقول صاحب المباني، رداً على القائلين بأن الترتيب كان باجتهاد الصحابة: فأي عقل يوجب تأخير سورة ﴿اقرأ﴾ إلى أخريات الكتاب وهو من أوله نزولاً، وتقديم قوله ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللَّه﴾ إلى أول الكتاب وهو من آخره نزولاً؟! وكيف كان يوجب تأخير السور المكية وهي من أوائلها نزولاً، وتقديم السور المدنية وهي من أواخرها نزولاً؟! فعلمت بهذا أن هذا الأمر لا يهتدي إليه بعقل دون أن يكون له توقيف مَنْ سمع. مقدمتان في علوم القرآن: ٦١.

وقال الكرماني:ترتيب السور هكذا هو من عند اللَّه تعالى في اللوح المحفوظ. انظر:=

(فائدة):

من قال بأن ترتيب القرآن توقيفي لا يُلْزِمُ تلاوته في الصلاة والـدرس

=البرهان في متشابه تنزيل القرآن: ٢٣. وقال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيـات موضعها إنما هو بالوحي. انظر: تناسق الدرر للسيوطي: ٥٧.

وقال الزركشي: لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلـع علـى أنـه توقيفـي مـن حكيم، إحداها بحسب الحروف كما في ﴿الحواميم﴾، وثانيها لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها كآخر ﴿الحمد﴾ في المعنى وأول ﴿البقرة﴾، وثالثها للوزن في اللفظ كآخر ﴿تبت﴾ وأول ﴿الإخلاص﴾. البرهان: ١/ ٢٦٠.

ويضيف السيوطي: ومـا يـدل علـى أنـه توقيفـي كـون (الحواميـم) رتبـت ولاءً، وكـذا (الطواسين)، ولم يرتب (المسبحات) ولاءً بل فصـل بـين سـورها، وفصـل بـين ﴿طسـم الشعراء﴾، و﴿طسم القصص﴾، بـ﴿طس﴾ مـع أنهـا أقصـر منهـا، ولـو كـان الـترتيب اجتهادياً لذكـرت (المسـبحات) ولاءً، وأخـرت ﴿طـس﴾ عـن ﴿القصـص﴾. الإتقـان: ١/ ١٩٨.

وثمرة الخلاف أن الذين يرون أن الترتيب توقيفي من عند الرسول ﷺ يتلمسون الحكم والفوائد والمناسبات بين السور، ويولون اهتماماً خاصاً لمعرفة تلـك المناسـبات، والربـط بين السور.

ويحسن ختم هذه المسألة بما قاله الأستاذ محمد عبد اللّه دراز في هذا الشـأن: إن كـانت - أي السور والآيات - بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق، فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع، كمثل بنيان كان قائماً على قواعده، فلما أُريد نقله بصورته إلى غير مكانـه، قُـدِّرت أبعاده، ورُقِّمت لبناته، ثم فرق أنقاضاً، فلم تلبث كل لَبِنَة منـه عرفـت مكانهـا المرقـوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصاً يشد بعضه بعضـاً كهيئتـه أول مـرة. انظـر: النبـأ العظيـم: ١٤٩.

على الترتيب ذاته، بل يوجب تأليف سورة في الرسم والخط خاصة، ولا يُعْلَمُ أن أحداً منهم قال بوجوب ذلك في الصلاة وفي قراءة القرآن ودرسه، ولا أنه لا يجوز لأحد أن يتلقن الكهف قبل البقرة ولا الحج قبل الكهف، وقد سُئلتْ عائشة - رضي اللَّه عنها - عن ذلك فقالت: لا يضرك أيَّة قرأت قبلُ؛ وقد كان النبي ﷺ يقرأ في الصلاة السورة في ركعة، ثم يقرأ في ركعة أخرى بغير السورة التي قبلها، وأما ما روي عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كرها أن يقرءا القرآن منكوساً، وقالا: ذلك منكوس القلب[1]؛ فإنما عَنِيَا بذلك من يقرأ السورة منكوسة، ويبتدئ من آخرها إلى أولها لأن ذلك حرام محظور؛ ومن الناس من يتعاطى هذا في القرآن والشعر ليذلل لسانه بذلك ويقدر على الحفظ، وهذا حظَّره تعالى ومنعه في القرآن لأنه إفساد لِسُوَرِه ومخالفة لما قصد بها.[2]

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ٣٠٨ - والأثر أخرجه عبد الرزاق في المصنف: (ح٧٩٤٧-٤٣٢٣) - والبيهقي في الشعب: (ح٣٣٤ - ٢/ ٦٠٠) - وابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/ ٥٦٤ - وأبو عبيد في فضائله: (ح١٣١ - ٥٧) وابن أبي داود في المصاحف: ١٥١- وذكره النووي في التبيان: ٦٩ وقال: إسناده صحيح. - قال الهيثمي في المجمع: ١٦٨/٧ رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) قاله أبو الحسن بن بطال، انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦١ - وفي هذا المعنى ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد: ٤/ ١٠٣. - والنهاية في غريب الحديث (نكس): ٥/ ١١٥.

الموضوع الثالث

رسم المصحف ونقطه وشكله ووضع الأخماس والأعشار

تناول هذا الموضوع في مقدمة تفسيره ابن جرير الطبري[١] وابن عطية[٢] والقرطبي[٣] والخازن[٤] وابن جزي[٥]، مع تفاوت بينهم، وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: حول رسم المصحف:

لم يتعرض المفسرون الذين سلف ذكرهم لرسم المصحف في مقدماتهم تصريحاً غير أن ظاهر بعض الآثار التي أوردوها حول جمع المصحف زمن أبي بكر وعثمان - رضي اللّه عنهما - تبين أن الرسم تم على يد الرهط التي تولت الجمع إلا مواضع محدودة اختلفوا فيها فكان لرأي عثمان - رضي اللّه عنه - على لغة قريش، ومن تلك الآثار ما جاء عند الطبري وغيره أن زيداً جمع المصحف في قطع الأدم وكسر الأكتاف

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٥٩.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٤٨ - ٥٤.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ٥٣ - ٦٣.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ٨.

(٥) انظر: تفسيره: ١/ ٧.

والعسب[١]. وقد بقيت تلك الصحف عند أبي بكر ثم عند عمر ثم عند حفصة بنته في خلافة عثمان، وجُعلت من ثمَّ إماماً في جمع عثمان[٢].

وعند الطبري وغيره أيضاً عن ابن شهاب من حديث جمع عثمان للمصاحف:.... ففزع - أي عثمان - لذلك - أي للاختلاف في القرآن - فزعاً شديداً، فأرسل إلى حفصة فاستخرج الصحف التي كان أبو بكر أمر زيداً بجمعها، فنسخ منها مصاحف، فبعث بها إلى الآفاق.[٣]

وفي رواية الطبري والبخاري والتي ذكرها ابن عطية والقرطبي أن عثمان - رضي اللَّه عنه - قال للرهط الذي أوكل إليه مهمة كتابة المصحف: إذا اختلفتم في شيء فاجعلوه بلغة قريش. قال ابن شهاب: فاختلفوا يومئذٍ في (التابوت) فقال زيد: (التابوه). وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص: (التابوت). فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه بالتاء (التابوت)، فإنه نزل بلسان قريش.[٤]

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٥٩، وقد سبق.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥١ - ٥٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٦٢ - وهو في فتح الباري لابن حجر: ٩/ ١٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٦١ - وابن عطية: ١/ ٤٨ - ٥٢ - والقرطبي: ١/ ٥٣ - والخازن: ١/ ٨ وقد سبق.

وقد لقي رسم المصحف من أهل العلم عناية واضحة، وأفردت لذلك مؤلفات خاصة، درست غرائب الرسم، واستخلصت منها الحكم والفوائد، كما بينت حكم اتباع=

.....

=الرسم وأقوال الأئمة في ذلك.

وتباينت الآراء حول وجوب اتباع الرسم العثماني الذي لقي القبول التام من الصدر الأول - رضوان اللّه عليهم - وهي في جملتها أربعة أقوال:

أ- أنه لا يجوز كتابة المصحف على الرسوم الأولى لاصطلاح الأئمة، لئلا يوقع في تغيير من الجهال، وهو قول تفرد به العز بن عبد السلام، وحجته التيسير على العامة.

ب- أن الرسم العثماني تم باجتهاد من الرهط الذين تم اختيارهم من قبل الخليفة عثمان - رضي اللّه عنه - بقيادة زيد بن ثابت، ولهذا لا مانع من كتابته برسم آخر، وبهذا قال الباقلاني وابن خلدون، وحجتهم أن اللّه لم يفرض على الأمة رسوماً معينة لكتابه العظيم، كما أنه ليس هناك ثمة دليل يوجب اتباع رسم المصحف الإمام.

جـ- أن الرسم اصطلاحي من الصحابة، غير أنه لقي القبول بإجماع الصدر الأول، ولم يخالفه أحد ولهذا يجب اتباعه باتفاق الأئمة، وهذا مذهب جمهور أهل العلم كالإمام مالك والإمام أحمد والداني وغيرهم.

د- أن الرسم توقيفي من رسول اللّه ﷺ لا يجوز مخالفته، لكونه كُتب بين يدي رسول اللّه، وأنه ﷺ كان يملي على الكاتب ما نزل من آيات الذكر الحكيم، كما كان يعلمه بعض الأمور الكتابيه. وممن قال بهذا الشيخ عبد العزيز الدباغ.

والذي يترجح عندي بعد النظر في الأدلة هو القول الثالث، وهو مذهب الجمهور وذلك لأمور:

أولاً: أن الرسم العثماني أصبح سنة متبعة إلى يومنا هذا، وفي إخضاعه للتطور الإملائي عبر القرون مراعاة للجاهلين أمر يعرضه للتغيير والتبديل المستمر، وكما قال الزركشي: شيء أحكمه السلف لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين.

ثانياً: أن للرسم العثماني دوراً كبيراً في تصحيح القراءات، فالمعروف عند أهل العلم أن من شروط قبول القراءة موافقتها لرسم المصحف، ويترتب على تغيير رسمه، ذهاب=

.....

=كثير من القراءات.

ثالثاً: أن لنا الاقتداء بما فعله صحابي واحد، فكيف وقد أجمع على الرسم العثماني نحو من اثني عشر ألفاً من الصحابة، ولهذا الأمر حرَّم الإمام أحمد وغيره مخالفة الرسم العثماني، ولأجله لم يجوِّز الإمام مالك كتابته بغير هذا الرسم، وقال: إلى على الكتبة الأولى. فهو - أي الرسم العثماني - أثر من أيدي الصحابة الذي هم أول من تلقى القرآن وسمعه من النبي ﷺ، وأول من خطَّه في المصاحف.

رابعاً: أن الأمة أجمعت أنه لا يجوز زيادة حرف في القرآن ولا إنقاص حرف منه، وبينت أن ما بين الدفتين هو كلام اللَّه، وفي كتابته برسم آخر زيادة حروف إليه، وإنقاص حروف منه.

خامساً: أن من يتبنى كتابة المصحف برسم آخر يخالف الرسم العثماني، عاجز عن كتابة فواتح السور: مثل ﴿كهيعص﴾ و﴿طسم﴾ و﴿حم عسق﴾ وغير ذلك.

هذا وقد كثرت الصيحات المنادية بمخالفة الرسم العثماني في عصرنا الحالي، مدعية التسهيل على الجيل، وهي دعوة إلى العبث بالنص القرآني الذي بقي مصاناً طيلة القرون الماضية من أيدي العابثين، يتولى كبرها دعاة المعاصرة، يقول الأستاذ عدنان زرزور في معرض رده على المنهزمين:

لا تخلوا لغة حية اليوم من حروف تكتب ولا تلفظ، أو من حروف تكتب على وجه وتلفظ - في بعض الكلمات - على وجه آخر.... الخ، وهي أمور يصيبها التلميذ عن طريق التعلم.... والقرآن عماد العربية وكتابها.... والأمر في لغته التعليم، وفي القرآن الكريم نفسه المشافهة والتلقي.

أما الدعوة إلى تغيير هذا الرسم تحت شعار المعاصرة والتسهيل فأعجب ما فيها - وعجائبها كثيرة.... - أن تكون في عصر الوسائل التعليمية المتنوعة الكثيرة والمتقدمة!! وقد حُفظ القرآن الكريم، وتعمم رسمه، وبقي اللسان العربي وقواعد الإملاء...=

المسألة الثانية: حول نقط المصحف وشكله:

أورد القرطبي عن يحيى بن كثير أنه قال: كان القرآن مجرداً في المصاحف، فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء والثاء وقالوا: لا بأس به هو نور له، ثم أحدثوا نقطاً عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتيم.(١)

قال ابن عطية: روي أن عبد الملك بن مروان أمر بشكل المصحف ونقطه، وعمله، فتجرد لذلك الحجاج بواسط، وجدَّ فيه وزاد تحزيبه، وأمر وهو والي العراق الحسن - أي البصري - ويحيى بن يعمر بذلك.(٢)

=وقواعد النحو طيلة هذه القرون الخمسة عشر!! وبدون تلك الوسائل التعليمية الحديثة... فهل يستقيم عند دعاة المعاصرة هذه - لا مطلق المعاصرة - أن يقال فيهم وفي أبناء جيلهم ما لا نرتضيه لهم من الكسل والغباوة وغير ذلك.

وقد أصدرت مراكز الإفتاء في عدد من الديار الإسلامية فتاوى تؤكد الوقوف عند المأثور من رسم المصحف وهجائه، وتحذر من مغبة تغييره وتبديله.

انظر: المقنع في معرفة رسوم مصاحف أهل الأمصار للداني: ٩ - والبرهان للزركشي: ١/ ٣٧٦ - ٣٧٩ - والإتقان للسيوطي: ٤/ ١٤٥ ط أبو الفضل إبراهيم - والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ٣٤٦ - والمدخل إلى علوم القرآن والتفسير لفاروق حماده: ٩٣ - علوم القرآن لعدنان زرزور: ٩٩ - ١٠١ - دراسات قرآنيه لعدنان زرزور: ١٠٩ - ورسم المصحف لغانم قدوري: ٢٠١ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي، تحقيق فهد العندس: ٢/ ٢٢٩ - ٢٣٤ هامش: (٤).

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٦٣ - وانظر المحكم في نقط المصاحف للداني: ١٧.

(٢) تفسير ابن عطية: ١/ ٥٤ - وانظر تفسير القرطبي: ١/ ٦٣ - والإتقان للسيوطي:٢/ ١١٨٢. =

قال ابن جزي: فأول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك بن مروان.[١]

وأسند الزبيدي[٢] في الطبقات إلى المبرد[٣]: أن أول من نقط المصحف هو أبو الأسودِ الدؤلي[٤][٥]. ثم ذكر أن ابن سيرين كان له مصحف نَقَطَهُ له يحيى بن يعمر[٦].

=أما الحسن فقد روى الداني أنه كان يكره نقط المصاحف. المحكم في نقط المصاحف:١١.
وأما ابن يعمر فقد ألف إثر ذلك كتاباً في القراءات جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق خط المصحف، ومشى الناس على ذلك زمناً. تفسير ابن عطية: ١/ ٥٤.

(١) تفسير ابن جزي: ١/ ٧.

(٢) هو محمد بن الحسن بن عُبيد اللّه الزّبيديُّ الشامي الأندلسي، إمام النحو، وصاحب التصانيف، له الطبقات في النحو، توفي (٣٧٩هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٦/ ٤١٧ - وذرات الذهب لابن العماد: ٣/ ٩٤.

(٣) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي المبرد، إمام النحو، وصاحب الأخبار، قيل أن المازني أعجبَهُ جَوابُه، فقال له: قم فأنت المبرِّد. أي المُثْبِت للحق. ثم غلب عليه بفتح الرَّاء. له الكامل، توفي (٢٨٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣/ ٥٧٦ - والبداية والنهاية لابن كثير: ١١/ ٧٩.

(٤) اسمه على الأرجح ظالم بن عمرو، علامة فاضل، ولد أيام النبوة، وحدَّث عن الصحابة، ثقة، قيل هو أول من تكلم في النحو، مات في طاعون الجارف سنة (٦٩هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٨١ - ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/ ٥٣٥.

(٥) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٥ - وتفسير القرطبي: ١/ ٦٣ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٧ - وانظر: المحكم في نقط المصاحف للداني: ٣ - وكتاب النقط له: ١٢٤.

(٦) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٥ - وتفسير القرطبي: ١/ ٦٣ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٧ -=

وعن أبي الفرج[١] صاحب «الأغاني»: أن زياد بن أبي سفيان[٢] أمر أبا الأسود بنقط المصحف.[٣]

وفي كتاب «الأمصار» للجاحظ أن نصر بن عاصم[٤] هو أول من نقط المصاحف وكان يقال له: نصر الحروف.[٥]

=وانظر: المحكم في نقط المصاحف للداني: ٥ - وكتاب النقط له: ١٢٥.

(١) هو علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني الكاتب، علامة، أديب، أخباري، بصير بأنساب العرب، له الأغاني وغيره، توفي (٣٥٦هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٦/ ٢٠١ - وشذرات الذهب لابن العماد: ٣/ ١٩.

(٢) هو زياد بن أبيه، وهو زياد بن عُبيد الثقفي، وهو ابن سمية، وهو زياد بن أبي سفيان الذي استلحقه معاوية بأنه أخوه، ولد عام الهجرة، وأسلم زمن الصديق، اشتهر بالحزم والدهاء والفطنة ورجاحة العقل، وضرب به المثل في النبل والسؤدد، وقيل كان أفتك من الحجاج لمن يخالفه هواه، توفي (٥٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣/ ٤٩٤ - وشذرات الذهب لابن العماد: ١/ ٥٩.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٥ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٧ - وانظر: الأغاني لأبي الفرج: ١٢/ ٣٤٦ - والمحكم في نقط المصاحف للداني: ٣.

(٤) هو نصر بن عاصم بن عمرو بن خالد الليثي البصري، ثقة، قيل: كان على رأي الخوارج. ذكر خليفة في طبقاته أنه مات بعد الثمانين. انظر: طبقات خليفة: ٢٠٤ و٢٠٦ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١٠/ ٤٢٧.

(٥) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٥ - وانظر: المحكم في نقط المصاحف للداني: ٦ - وكتاب النقط له: ١٢٥ - والإتقان للسيوطي: ٢/ ١١٨٢ قال الأستاذ صبحي الصالح: لا يستبعد أن يكون عمله - أي نصر بن عاصم - امتداداً لعمل أستاذيه أبي الأسود وابن=

.....

=يعمر، فإنه أخذ عنهما. مباحث في علوم القرآن: ٩٣.

قلت: المشهور الذي ذهب إليه أكثر العلماء كما قال الداني، أن المبتدىء هو أبو الأسود الدؤلي. ويحتمل أن يكون يحيى ونصر - وهما تلميذا أبي الأسود - أوَّلَ من نقَّطاها للناس بالبصرة، وأخذا ذلك من أبي الأسود، إذ كان السابق.

يقول أبو شهبة: ويمكن التوفيق بأن أبا الأسود أول من نقط المصاحف بصفة شخصية، وتبعه في ذلك ابن سيرين، وأما عبد الملك فأول من أمر بنقط المصحف بصفة عامة رسمية شاعت وذاعت بين الناس قاطبة. انظر: المحكم في نقط المصاحف للداني: ٦ - والنقط له: ١٢٥ - والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ٣٨٩.

وقد كان ثلة من السلف قد كره نقط المصحف وشكله كابن مسعود وقتادة والشعبي والنخعي وغيرهم، مبالغة في الحفاظ على القرآن، غير أن العهد تغير حين دخل اللحن والتغيير والتصحيف لسان العرب، مع كثرة المعتنقين للدين، يقول الداني في هذا المعنى: اعلم أيدك اللَّه بتوفيقه أن الذي دعا السلف - رضي اللَّه عنهم - إلى نقط المصاحف بعد أن كانت خالية من ذلك وعارية منه وقتَ رسمها وحين توجيهها إلى الأمصار.... ما شاهدوه من أهل عصرهم مع قربهم من زمن الفصاحة ومشاهدة أهلها، من فساد ألسنتهم، واختلاف ألفاظهم، وتَغَيُّر طباعهم، ودخول اللحن على كثير من خواص الناس وعوامهم، وما خافوه من مرور الأيام... المحكم: ١٨.

لقد أصبح النقط والشكل أمراً ضرورياً ومستحباً، وفي ذلك يقول النووي: قال العلماء: ويستحب نقط المصحف وشكله فإنه صيانة من اللحن فيه وتصحيفه، وأما كراهة الشعبي والنخعي للنقط فإنما كرها ذلك في ذلك الزمان خوفاً من التغيير فيه، وقد أمن ذلك اليوم فلا منع، ولا يمنع من ذلك لكونه محدثاً، فإنه من المحدثات الحسنة، فلا يمنع منه كنظائره مثل تصنيف العلم وبناء المدارس والرباطات وغير ذلك واللَّه أعلم. انظر: المحكم في نقط المصاحف للداني: ١٠ - والتبيان للنووي: ١٢٢ ط دار النفائس تحقيق=

المسألة الثالثة: حول الأخماس والأعشار وفواتح السور والخواتيم[١]:

اختلف أهل العلم من الصدر الأول في حكم تخميس المصاحف وتعشيرها، وإحداث الفواتح والخواتيم للسور، فكرهها قوم كابن مسعود ومجاهد والنخعي[٢] وأبي رزين[٣]، وأباحها الإمام مالك في غير الأمهات وبغير الألوان، وأجازها سائر المسلمين إجازة مطلقة.

وكان أول من أمر بوضع الأعشار في المصاحف على ما قال ابن عطية وتبعه القرطبي وابن جزي هو المأمون العباسي، وقيل تم ذلك على يد الحجاج[٤].

=السيروان.

(١) التخميس: كتابة لفظ (خمس) عند رأس كل خمس آيات، والتعشير: كتابة لفظ (عشر) عند رأس كل عشر آيات، ومنهم من يكتفي بكتابة حرفي (خـ) و(عـ) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ٣٩٠.

(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، إمام حافظ، وفقيه الكوفة ومفتيها، قال الشعبي: ما ترك بعده أعلم منه. توفي (٩٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٥٢٠ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١/ ١٧٦.

(٣) هو لقيط بن عامر بن صبرة العقيلي ، روى عن النبي ا، وعنه ابنه عاصم وغيره، أخرج له البخاري وجماعة. انظر: الإصابة لابن حجر: ٣/ ٣٣٠ - وأسد الغابة لابن عبد البر: ٤/ ٢٦٦.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٦ - والقرطبي: ١/ ٦٣ - وابن جزي: ١/ ٧.

وقد ذكر أبو عمرو الداني في كتاب البيان له عن ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - أنه كره التعشير في المصحف، وأنه كان يُحكّه.(١)

وعن مجاهد أنه كره التعشير والطيب في المصحف.(٢)

وقال أشهب(٣): سمعت مالكاً سُئل عن العُشُور التي تكون في المصحف بالحمرة وغيرها من الألوان، فكره ذلك وقال: تعشير المصحف بالحبر لا بأس به.(٤)

وعن قتادة، قال: بدوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا. وكان كالإنكار.(٥)

وضع الفواتح والخواتيم للسور:

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٣. والمحكم في نقط المصاحف للداني: ١٤.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٣. والمحكم في نقط المصاحف للداني: ١٥.

(٣) هو أشهب بن عبد العزيز بن داود العامري، قيل اسمه مسكين، وأشهب لقب له، إمام علامة، مفتي مصر، قال عنه الإمام الشافعي: ما أخرجت مصر أفقه من أشهب. توفي (٢٠٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/ ٥٠٠ - وترتيب المدارك للقاضي عياض: ٢/ ٤٤٧.

(٤) انظر: المصادر السابقة.

(٥) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٦ وفي المحكم للداني: ١٥ (وكان كالابتكار)، حيث قال بعد أن ذكر الرواية: وهذا يدل على الترخيص في ذلك والسعة فيه. اهـ. وبينهما فرق واضح. وانظر تفسير القرطبي: ١/ ٦٣.

روى أبو عمرو عن أبي حمزة قال: رأى إبراهيم النَّخَعي في مصحفي فاتحة سورة كذا وكذا، فقال: امحه، فإن ابن مسعود قال: لا تخلطوا في كتاب اللَّه ما ليس منه[١].

وعن أبي بكر السراج قال: قلت لأبي رزين: أأكتب في مصحفي سورة كذا وكذا؟ فقال: إني أخاف أن ينشأ قوم لا يعرفونه يظنونه من القرآن[٢].

وقال أشهب: سُئل الإمام مالك عن المصاحف يكتب فيها خواتم السور في كل سورة ما فيها من آية فقال: إني أكره ذلك في أمهات المصاحف أن يُكتب فيها شيء، أو يُشكل، فأما ما يتعلم به الغلمان في المصاحف فلا أرى بذلك بأساً. قال أشهب: ثم أخرج إلينا مصحفاً لجدِّه، كتبه إذ كتب عثمان المصاحف فرأينا خواتمه من حبر على عمل السلسلة في طول السطر، ورأيته معجوم الآي بالحبر.[٣]

وقال يحيى بن كثير: كان القرآن مجرداً في المصاحف، فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء والثاء وقالوا: لا بأس به هو نور له، ثم أحدثوا

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٣، والمحكم في نقط المصاحف للداني: ١٦.

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٣ - والمحكم في نقط المصاحف للداني: ١٧.

نقطاً عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتيم.[١]

قال القرطبي: قال الداني - رضي اللَّه عنه -: وهذه الأخبار كلها تؤذن بأن التعشير والتخميس وفواتح السور ورؤوس الآي من عمل الصحابة - رضي اللَّه عنهم - قادهم إلى عمله الاجتهاد؛ وأرى أن من كره ذلك منهم ومن غيرهم إنما كره أن يعمل بالألوان كالحمرة والصفرة وغيرهما؛ على أن المسلمين في سائر الآفاق قد أطبقوا على جواز ذلك واستعماله في الأمهات وغيرها، والحرج والخطأ مرتفعان عنهم فيما أطبقوا عليه إن شاء اللَّه.[٢].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٣، والمحكم في نقط المصاحف للداني: ١٧، وفيه: على التاء والياء. قال أبو عمرو عقب ذلك: وهذا يدل على التوسعة في ذلك.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٤ - وكتاب النقط للداني: ١٢٥.

قلت: ومن كره ذلك خشي أن يحدث إدخال عناصر جديدة إلى كتاب اللَّه ظناً عند العامة أن ما أُدخل هو من كتاب اللَّه، وهو ليس منه، فلهذا تحرج مَنْ تحرَّج في ذلك، أما بعد أن أُحدثت الفواتح والخواتيم، وتلقى ذلك أهل العلم بالقبول، ولم تلقَ منهم النكير، فالأمر جائز ولا مانع من ذلك، وهو المعمول به إلى يومنا هذا. واللَّه أعلم.

obeikandl.com

الموضوع الرابع

سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه

تناول هذا الموضوع من المفسرين في مقدمة تفسيره ابن جرير الطبري[١] والماوردي[٢]، وابن عطية[٣]، والقرطبي[٤]، وابن جزي[٥]، مع تفاوت بينهم، وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: معنى السورة:

قال أبو جعفر الطبري: تسمى كل سورة من سور القرآن «سورة» وتجمع «سُوَراً» - يفتح الواو - على تقدير «خطبة وخُطَب» و«غُرْفَة وغُرَف»[٦].

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ١٤- ١٦.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٢٧ - ٢٨.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ٧٠.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ٦٤ - ٦٥.

(٥) انظر: تفسيره: ١/ ٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٤، قال الطبري: ومن ذلك سور المدينة، غير أن السُّورة من سور المدينة لم يسمع في جمعها «سُوَر». وانظر الصحاح للجوهري: ٢/ ٦٩٠ - واللسان لابن منظور «سور»: ٤/ ٣٨٦.

قال ابن عطية: جمع سورة البناء: «سُوْر» بسكونها. ثم ذكر عن أبي عبيدة قوله: إنما

قال الشاعر:

سُودُ المحاجرِ لا يَقرأْنَ بالسُّوَر[١]

قال القرطبي: ويجوز أن يجمع على سُورات وسُوَرات.[٢]

وفيها لغتان:

إحداهما: بالهمز (سؤرة) وهي لغة تميم[٣].

والأخرى: بغير همز (سورة) قال ابن عطية: وهي لغة قريش كلها ومن جاورها من قبائل العرب كهذيل وسعد بن بكر وكنانة[٤].

فأما التي بغير همز: فهي المنزلة من منازل الارتفاع، ومنه سور المدينة للحائط الذي يحويها، وذلك لارتفاعه على ما يحويه، يقول نابغة بني ذبيان[٥]:

اختلفا في هذا فكأن سُوَر القرآن هي قطعة بعد قطعة حتى كمل منها القرآن، ويقال: أيضاً للرتبة الرفيعة من المجد والملك: سورة. انظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٤ - وتفسير ابن عطية: ١/ ٧٠.

(١) عجز بيت قاله الشاعر الراعي، وصدر البيت: عن الحرائر لا ربات أخمرة. انظر تفسير القرطبي: ١/ ٦٦ وهو في البحر لأبي حيان: ٢/ ٢٥٢ و٧/ ٢٥٥.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧٠ - والدر المصون للسمين: ١/ ٢٠١.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧٠ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٨.

(٥) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني، شاعر جاهلي مشهور، قصده=

أَلَمْ تَرَ أنَّ اللَّه أعْطاكَ سُورَةً ... تَرَى كلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ[١]

يعني بذلك أن اللَّه أعطاه منزلة من منازل الشرف التي قصَّرت عنها منازلُ الملوك، ولهذا سميت السورة لارتفاعها وعلو قدرها.[٢]

وقال ابن عطية: ومنهم من يراها مشبّهة بسورة البناء: أي القطعة منه؛ لأن كل بناء فإنما يبنى قطعة بعد قطعة، وكل قطعة منها سورة.[٣]

وقيل: سميت بذلك لأن قارئها يشرف على ما لم يكن عنده كسور البناء. وقيل: لتمامها وكمالها من قول العرب للناقة التامة: سُورة.[٤]

وأما السؤرة بالهمز، فهي القطعة التي فصلت من القرآن عما سواها وأُبْقِيَتْ منه؛ لأن سؤر كل شيء بَقِيَّتُه، وعليه سُمِّيَ ما فَضَل في الإناء بعد الشرب منه سُؤْرَاً[٥]، وقيل: جاء في أسأر الناس. أي بقاياهم.[٦]

=الشعراء يعرضون عليه أشعارهم، عمر طويلاً، توفي (١٨ق هـ). انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٧٠ - ٨١، وخزانة الأدب للبغدادي: ٢/ ١٣٥.

(١) هو في ديوانه: ٧٣، تحقيق أبو الفضل إبراهيم - وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٤ - ونكت الانتصار للباقلاني: ٥٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٥ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٧ - وتفسير القرطبي: ١/ ٦٥ - وانظر: مفردات الراغب (سور): ١/ ٢٤٧.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧٠ - والدر المصون للسمين: ١/ ٢٠١.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٤ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٧ - وانظر: مفردات الراغب (سور): ١/ ٢٤٨ - والدر المصون للسمين: ١/ ٢٠١.

(٦) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦.

وفي الحديث قول الرسول ﷺ: «إذا شَرِبْتُمْ فَأَسْئِرُوا»[١]، ومن ذلك قول أعشى بني ثعلبة[٢] يصف امرأة فارقته، فأبقت في قلبه من وجْدِها بقية:

فَبَانَتْ وقد أَسْأَرَتْ في الفؤا دِ صَدْعَاً، على نَأيِها مُسْتَطِيرا[٣]

وقال الأعشى في مثل ذلك:

بَانَتْ وقد أَسْأَرَت في النَّفس حَاجَتَهَا بعدَ ائتِلاف؛ وخيرُ الوُدِّ ما نَفَعَا[٤]

قال القرطبي: الأصل (سؤرة) بالهمز ثم خففت فأبدلت التاء واواً لانضمام ما قبلها.[٥]

قال الماوردي: والأول من القولين أصح[٦]. أي كونها بغير همز،

---

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٢٧ - والحديث ذكره العجلوني في كشف الخفاء: ١/ ٥٨، وابن الأثير في النهاية: ٢/ ٣٢٧.

(٢) هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل، أبو بصير، يقال له صناجة العرب، شاعر جاهلي فحل، وهو أحد أصحاب المعلقات العشر، أدرك الإسلام ولم يسلم، توفي (٧)هـ. انظر: الأغاني لأبي الفرج: ٩/ ١٢٧ - وطبقات الشعراء لابن سلام: ١٥/ ١٩.

(٣) هو في ديوانه ٦٧ - وانظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٤ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٨.

(٤) هو في ديوانه: ٧٣ - وانظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٦.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦ - وانظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧٠.

(٦) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٢٨.

والسورة من القرآن في اصطلاح الشرع، كما قال الجعبري: قرآن يشتمل على أي ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات. وقال غيره: السورة الطائفة المترجمة توقيفاً أي المسماة=

وأنها بمعنى الارتفاع وعلو القدر.

المسألة الثانية: معنى الآية:

اختلف النحويون في أصل لفظة (آية) على أقوال:

فقال سيبويه، (آية) على وزن (فَعَلَة)، بفتح العين، أصلها (أيَيَة) مثل (أكَمَة) و(شَجَرَة)، تحركت الياء الأولى، وما قبلها مفتوح فجاءت (آية) بهمزة بعدها مدَّة.

وقال الكسائي، هي على وزن (آيِيَة) على وزن (فاعِلَة) مثل (آمنة) فقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت لالتباسها بالجمع.(١)

قال مكي: سُكِّنَت الأولى، وأُدغمت فجاءت (آيَّة) على وزن دابة، ثم سهلت الياء المثقلة.(٢)

وقال الفراء، أصلها (أيَّيه) بتشديد الياء الأولى على وزن (فَعْلة)

=باسم خاص من النبي ﷺ.

انظر: كنز المعاني شرح حرز الأماني للجعبري، مخطوط: (و٩٤) - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٥٠ ط أبو الفضل - والتبصرة لمكي: ١٠٩ والزيادة والإحسان لابن عقيلة، بتحقيقي: ٢/ ٤٢٧.

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧١ - وتفسير القرطبي: ١/ ٦٦ - والقاموس المحيط لفيروز آبادي: ١٦٢٨ - والتيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي: ١٦٧.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧١ - وتفسير القرطبي: ١/ ٦٦.

بسكون العين، فأبدلت الياء الساكنة ألفاً استثقالاً للتضعيف.[١]

وهذا القول حكاه أبو علي الفارسي في ترجمة ﴿وَكَأَيِّن مِن نَبِيٍّ﴾ [آل عمران: ١٤٦].[٢]

قال ابن عطية: وقال بعض الكوفيين: أصلها (أيِيَة) على وزن (فَعِلَة)، بكسر العين، أُبدلت الياء الأولى ألِفاً، لثقل الكسر عليها، وانفتاح ما قبلها.

وتجمع الآية على: (آي)، و(آيات) و(آياء)، وأنشد أبو زيد:

لم يُبق هذا الدهر من آيائه غيرَ أثافيهِ وأرْمِدائِه[٣]

والآية في كلام العرب لها عدة معاني:

فالآية: (العلامة)، قال الطبري: لأنها علامة يعرف بها تمام ما قبلها وابتداؤها، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنكَ﴾ [المائدة: ١١٤] يعني علامة منك لإجابتك

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧١ - وتفسير القرطبي: ١/ ٦٦ - وانظر: الكتاب لسيبويه: ٤/ ٣٩٩.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧١.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦ - وانظر نكت الانتصار للباقلاني: ٥٨، وينظر في (آية): الكتاب لسيبويه: ٤/ ٣٩٨ - وتاج العروس للزبيدي: ١٠/ ٢٦ - ٢٧، ولسان العرب لابن منظور: ١٤/ ٦١ - ٦٣، وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي: ١/ ٨٦.

دعاءنا، وإعطائك إيانا سؤلنا[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، أي: علامة ملكه.

وقال سحيم عبد بني الحسحاس[٢]:

أَلِكْني إليها عَمْرَكَ اللَّهُ يا فتى بآيةِ ما جَاءتْ إلينا تَهَادِيا

يعني: علامة ذلك[٣].

وقال النابغة:

توهَّمت آيات لها فعرفتُها لستة أعوام وذا العامُ سابعُ[٤]

وتقول العرب: بيني وبين فلان آية. أي: علامة.[٥]

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٦ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٨.

(٢) هو سحيم، كان عبداً اشتراه بنو الحسحاس، ونشأ فيهم، له شعر رقيق، تغزل في نساء بني الحسحاس فقتلوه عام (٤٠هـ). انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢٤١ - وخزانة الأدب للبغدادي: ٢/ ١٠٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٦ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٨ - وانظر ديوان الشاعر: ١٩ - وخزانة الأدب للبغدادي: ٢/ ١٠٤ - قال الزمخشري: ألكني إلى فلان، واحمِل إليه أُلوكي، ومَألُكتي، وهي الرسالة. أي: أبلغ رسالتي إليها. أساس البلاغة للزمخشري (ألك): ٢٠.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦.

قال ابن عطية: - وفي قول بعضهم - لما كانت الجملة التامة من القرآن علامة على صدق الآتي بها، وعلى عجز المتحدي بها سميت آية.[١]

والآية (القصة والرسالة):

قال كعب بن زهير بن أبي سُلمى[٢]:

أَلا أبْلغنا هذا المُعَرِّص آيَةً أَيقظان قالَ القولَ إذْ قَالَ أمْ حَلَمْ

يعني بقوله: (آية) رسالة مني وخبراً عني.

قال الطبري: فيكون معنى الآيات: القصص، قصةٌ تتلو قصةً، بفُصُول ووُصُول.[٣]

والآية (الجماعة):

فقد قالت العرب: جئنا بآيتنا. أي: بجماعتنا.

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧١ - وانظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٨ - قال ابن عقيلة: الآية أصلها العلامة، إما العلامة على الفصل، أو الصدق، أو عجز المتحدى به. الزيادة والإحسان بتحقيقي: ٢/ ٦١٠. قلت: وهذا هو الراجح والأظهر والله أعلم.

(٢) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، شاعر عريق، وصاحب اللامية المشهورة التي مدح بها النبي ﷺ: بانت سعاد..... أسلم بعد أن أهدر النبي ﷺ دمه، توفي (٢٦هـ). انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٦٧ - والأغاني لأبي الفرج: ١٧/ ٨٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٦ - والماوردي: ١/ ٢٨ - وانظر ديوان الشاعر: ٦٤.

وقالت: خرج القوم بآياتهم. أي: بجماعتهم.

قال بُرْج بن مُسْهر الطائي[١]:

خَرجنا من النَّقْبَيْن لا حيَّ مثلُنا بآيتنا نُزجي اللِّقاحَ المطَافلا

قال القرطبي: وسُميت أية لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه.[٢]

والآية (الأمر العجيب):

سُميت بها لأنها عجيب يعجز البشر عن التكلم بمثلها.[٣]

---

(١) هو برج بن مسهر بن جلاس بن الأرت الطائي، شاعر من معمَّري الجاهلية، له شعر اختار أبو تمام في الحماسة منه، توفي نحو (٣٠ق هـ). انظر الأعلام للزركلي: ٢/ ٤٧. ومن مراجعه بلوغ الأرب للآلوسي: ٣/ ٢٩٩.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦ - وانظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧١ - والبيت في خزانة الأدب للبغدادي: ٦/ ٥١٥ - ومعناه أنهم خرجوا بجماعتهم وبما يستدل به عليهم من متاعهم.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦ - وانظر في معنى الآية: غرائب القرآن للنيسابوري: ١/ ٢٨ - ومقدمات شمس الدين الأصفهاني - المقدمة الثالثة: و(١٠)، مخطوط باستانبول -تركيا- مكتبة كوبرلي - وخزانة الأدب للبغدادي: ٦/ ٥١٢.

والآية (المعجزة)، قال تعالى: ﴿سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة﴾ [البقرة: ٢١١] أي: معجزة واضحة.

والآية: (البرهان والدليل) قال تعالى: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض﴾[الروم:٢٢].

المسألة الثالثة: عدُّ آي القرآن[١]:

أجمع العادُّون لآي القرآن على أنه ستة آلاف آية، ثم اختلفوا في الزيادة على ذلك:

فعدُّ المدني الأول، في قول محمد بن عيسى: ستة آلاف آية.[٢]

وفي عدِّ المدني الأخير، في قول إسماعيل بن جعفر[٣]: ستة آلاف آية

قال الزرقاني: وكلها إطلاقات لغوية ، وقد يستلزم بعضها بعضاً . مناهل العرفان: ١/ ٣٣١.

والآية في اصطلاح الشرع: طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن. مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٣٣٢.

(١) علم معرفة الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه، ولذلك عد العلماء ﴿الم﴾ آية حيث وقعت، و﴿المص﴾، ولم يعدوا ﴿المر﴾ و﴿الر﴾، وعدوا ﴿حم﴾ آية في سورها، و﴿طه﴾ و﴿يس﴾ ولم يعدوا ﴿طس﴾.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٤ - وفنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٣٧ - وهو عند هشام بن عمار ستة آلاف ومائة وسبع عشرة آية، وبه قال نافع. انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٤٢ - وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي: ١/ ٥٦٠ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦١١.

(٣) هو إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير المدني ، ثقة قرأ على شيبة بن نصاح وغيره، توفي سنة (١٨٠هـ). انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ١٦٣ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٨/ ٢٢٨.

ومائتا آية وأربع عشرة آية.[١]

وفي عدِّ المكي، في قول الفضل: ستة آلاف آية ومائتا آية وتسع عشرة آية.[٢]

وفي عدِّ الكوفي، في قول محمد بن عيسى: ستة آلاف آية ومائتا آية وثلاثون وست آيات.[٣]، وهو العدد الذي رواه سُليم بن عيسى الكوفي[٤]، والكسائي عن حمزة، وأسنده الكسائي إلى علي بن أبي

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٥ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٨٩ ط أبو الفضل - وفنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٤٣ - وجمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٣١ وبشير اليسر: ٢٠ وهذا العد منسوب إلى أبي جعفر بن يزيد بن القعقاع، وصهره شيبة بن نصاح. انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٣٧.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٥ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٨٩ط أبو الفضل - وهذا العد منسوب إلى مجاهد بن جب ر، وعبد اللّه بن كثير . انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٣٧.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٥ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٨٩ط أبو الفضل - وفنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٤٣ - وجمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٣١ - وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي: ١/ ٥٥٩.

(٤) هو سُليم بن عيسى بن سليم الكوفي المقرىء ، شيخ القراء، عرض القرآن على حمزة، واشتهر بضبطه للقرآن، توفي (١٨٨هـ) انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٣١٨ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/ ٣٧٥.

طالب - رضي اللّه عنه -[١].

وفي عدِّ البصري، في قول محمد بن عيسى: ستة آلاف ومائتان وأربع آيات.[٢]

وفي عدِّ أهل الشام، في قول يحيى بن الحارث الذِّماري[٣]: ستة آلاف ومائتان وست وعشرون.[٤] وفي رواية: ستة آلاف ومائتان وخمس وعشرون. نقص آية، قال: ابن ذكوان[٥]: فظننت أن يحيى لم يعد ﴿بِسْمِ اللّهِ

---

(١) انظر: المصادر السابقة - وهو منسوب إلى أبي عبيد الرحمن السُّلمي عن علي ابن أبي طالب، وقد نسبه قوم إلى ابن مسعود، والأول أصح. انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٣٩.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٥ - وفنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٤٣ - وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي: ١/ ٥٦٠ - وهذا العد منسوب إلى عاصم بن ميمون الجحدري، انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٣٧.

(٣) هو يحيى بن الحارث بن عمرو بن يحيى الغساني الذماري، إمام الجامع الأموي وشيخ القراءة بدمشق، معدود في التابعين، توفي (١٤٥هـ). انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ٢/ ٣٦٧ - ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ١٠٥.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٥ - وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي: ١/ ٥٦٠ - وفي كتاب الحجة في المحجة لقوام السنة: و(٢٤٦): وسبعة وثلاثون آية. وانظر: الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦١١؛ وهذا العد منسوب إلى عبد اللّه بن عامر اليحصبي. انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٤١.

(٥) هو عبد اللّه بن أحمد بن بشر بن ذكوان القرشي، إمام في القراءة، ثقة، وحيد دهره في=

الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾.[١]

قال أبو عمرو بعد أن ذكر ما سبق: فهذه الأعداد التي يتداولها الناس تأليفاً، ويعدُّون بها في سائر الآفاق قديماً وحديثاً.[٢]

المسألة الرابعة: كلمات القرآن:

عرف القرطبي الكلمة بقوله: هي الصورة القائمة بجميع ما يختلط بها من الشبهات. أي الحروف.[٣]

ثم قال: وأطول الكلم في كتاب اللَّه ما بلغ عشرة أحرف، نحو قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم﴾ [النور: ٥٥] ونحو ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ [هود: ٢٨]، وأقصرهن ما كان على حرفين نحو ﴿مَا﴾ و﴿لا﴾، وقد تكون الكلمة وحدها آية تامة نحو قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ و﴿الضحى﴾ و﴿الم﴾ و﴿طه﴾

=علمه، توفي (٢٤٢هـ) انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٤٠٤ - ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ١٩٨.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٥ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٨٩ط أبو الفضل - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦١٢ - وفي جمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٣١: وسبعاً وعشرين آية.

(٢) قال أبو عمرو في كتاب البيان، وذكره القرطبي في تفسيره: ١/ ٦٥، والسيوطي في الإتقان: ١/ ١٨٩ط أبو الفضل.

(٣) تفسير القرطبي: ١/ ٦٧.

وغيرها، وذلك في فواتح السور وحدها دون حشوها.

قال أبو عمرو: ولا أعلم كلمة هي وحدها آية - أي في حشو السور- إلا قوله تعالى في الرحمن: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤] لا غير.

والكلمة تطلق على الآية التامة، وعلى الكلام القائم بنفسه، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الأعراف: ١٣٧] قيل: المراد بالكلمة هاهنا قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾ [القصص: ٨].

وفي الحديث: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان اللَّه وبحمده، سبحان اللَّه العظيم».[١]

وقد تسمي العرب القصيدة بأسرها والقصة كلها كلمة.

فتسمي جملة الكلام كلمة إذا كانت الكلمة منها، على عادتهم في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه، وما قاربه وجاوره، وكان بسبب منه مجازاً واتساعاً. اهـ.[٢]

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: إذا قال: واللَّه لا أتكلم: ٧/ ٢٢٩، وفي غيره.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٧.

وأما عدد كلمات القرآن فقد ذكر القرطبي أن الفضل بن شاذان[١] أفاد أن: جميع كلمات القرآن - في قول عطاء بن يسار - سبعة وسبعون ألفاً وأربعمائة وسبع[٢] وثلاثون كلمة.[٣]

---

(١) هو الفضل بن شاذان بن عيسى الرازي، شيخ القراء بالري، قيل: لم يكن في دهره مثله في علمه وفهمه وعدالته، وحسن اطلاعه، توفي (٢٩٠هـ) انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ٢/ ١٠ - ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٢٤٣.

(٢) في القرطبي: (تسع) وهو خطأ، والصحيح ما أثبته وهو موافق لما في البرهان للزركشي: ١/ ٢٤٩، والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦٣٧ وغيرهما.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٥، وهو مروي عن مجاهد وابن جبير. الإتقان للسيوطي: ١/ ١٩٧.

قلت: وذكر ابن الجوزي أن المنهال بن عمرو روى عن عطاء بن يسار أنه تسع وسبعون ألف كلمة ومائتان وسبعة وسبعون كلمة. فنون الأفنان: ٢٤٥، وهو أمر بعيد، إذ يكون الفرق بين العادين أكثر من ألفي كلمة، وهو فرق لا يمكن أن يتفق وقول أهل العلم أن سبب الاختلاف في عد الكلمات لأن الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم، واعتبار كل واحد منها جائز، وكل من الصحابة اعتبر أحد الجوائز. وانظر: جمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٣١ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٩٧ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦٣٨ - ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٣٣٧.

ثم إن معرفة عدد كلم القرآن مع الاختلاف فيه لا فائدة مرجوة منه، إذ الفائدة متحققة لو كان هناك اتفاق، وكذا في حروفه، ولهذا الأمر لم يهتم الحافظ السيوطي بِعَدِّ الكلم والحروف في كتابه، وقال: وفيه أقوال أخر والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل تحته، وقد استوعبه ابن الجوزي في فنون الأفنان، وعدَّ الأنصاف والأثلاث إلى الأعشار،=

المسألة الخامسة: حروف القرآن:

الحرف هو الشُّبهة القائمة وحدها من الكلمة، وقد يسمى الحرف كلمة والكلمة حرفاً، اتساعاً ومجازاً.

قال الداني: فإن قيل: فكيف يسمى ما جاء من حروف الهجاء في الفواتح على حرف واحد، نحو ﴿ص﴾ و﴿ق﴾ و﴿ن﴾ حرفاً أو كلمة؟

قلت: كلمةً لا حرفاً، وذلك من جهة أن الحرف لا يسكت عليه، ولا ينفرد وحده في الصورة، ولا ينفصل مما يختلط به؛ وهذه الحروف مسكوت عليها منفردة منفصلة كانفراد الكلم وانفصالها، فلذلك سُمّيت كلمات لا حروفاً.

وقال: وقد يكون الحرف في غير هذا المذهب والوجه، قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] أي على

=وأوسع القول فيه، فراجعه منه، فإن كتابنا موضوع للمهمات لا لمثل هذه البطالات!! الإتقان: ١/ ١٩٧.

وقال السخاوي: ما أعلم - لعدد الكلمات والحروف - من فائدة، لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد في كتاب تمكن فيه الزيادة والنقصان منه، والقرآن لا يمكن ذلك فيه.

ثم إن ما يمكن أن يزاد فيه وينقص منه، لا يفيد فيه حصر كلماته وحروفه، فقد تبدل كلمة موضع أخرى، وحرف مكان حرف، والقرآن بحمد اللَّه محفوظ من جميع ذلك. جمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٣١ .

وجه ومذهب.[١]

وأما عدد حروف القرآن فقد روى سلام أبو محمد الحِماني أن الحجاج بن يوسف جمع القراء والحفاظ والكُتَّاب، فقال: أخبروني عن القرآن كله، كم حرفاً هو؟ قال: وكنت فيهم، فحسبنا فأجمعنا على أن القرآن ثلاث مئة ألف حرف وأربعون ألف حرف وسبعمائة حرف وأربعون حرفاً.[٢]

وعن الفضيل بن شاذان: أن حروف القرآن ثلاث مئة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً.

وعن عبد اللَّه بن كثير عن مجاهد قال: أحصينا من القرآن، وهو ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفاً.

قال القرطبي: وهذا مخالف لما تقدم عن الحماني.[٣]

المسألة السادسة: أجزاء القرآن:

روى سلام الحِماني أن الحجاج بن يوسف قال للقراء والحفاظ والكُتَّاب: أخبروني إلى أي حرف ينتهي نصف القرآن؟ فإذا هو في الكهف

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٧.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٤.

(٣) المصدر السابق: ١/ ٦٥ والإتقان للسيوطي: ١/ ٢٢٠ط البغا.

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الآية: ١٩] في الفاء. قال: فأخبروني بأثلاثه؛ فإذا الثلث الأول رأس مائة من براءة، والثلث الثاني رأس مائة أو إحدى ومائة من ﴿طسم الشعراء﴾ والثلث الثالث ما بقي من القرآن. قال: فأخبروني بأسباعه على الحروف؛ فإذا أوَّل سبع في النساء ﴿فَمِنْهُم مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَن صَدَّ﴾ [الآية: ٥٥] في الدال، والسبع الثاني في الأعراف ﴿حَبِطَتْ﴾ [الآية: ١٤٧] في التاء، والسبع الثالث في الرعد ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ [الآية: ٣٥﴾ في الألف من آخر «أكلها» السبع الرابع في الحج ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً﴾ [الآية: ٣٤] في الألف، والسبع الخامس في الأحزاب ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ﴾ [الآية: ٣٦] في الهاء، والسبع السادس في الفتح ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ [الآية: ٦] في الواو، والسبع السابع ما بقي من القرآن[1].

قال سلام: عملناه في أربعة أشهر، وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربعاً، فأول ربعه خاتمة الأنعام، والربع الثاني في الكهف ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾،

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٤ - وجمال القراء للسخاوي: ١/ ١٢٦ - والمصاحف لابن أبي داود: ١١٨.

قلت: هذا التقسيم هو باعتبار الحروف، كما صرح بذلك الحجاج في الرواية، (فأخبرني بأسباعه على الحروف) وهناك حساب آخر باعتبار عدد كلماته، وآخر باعتبار آياته، ثم باعتبار سوره، وكل ذلك يدل على مبلغ العناية بكتاب اللَّه. وقد ذكر ذلك السيوطي في الإتقان: ١/ ٢٢٠ - وانظر: فنون الأفنان لابن الجوزي في ذلك مفصلاً: ٢٥٣.

والربع الثالث خاتمة الزمر، والربع الرابع ما بقي من القرآن.

قال القرطبي: وفي هذه الجملة خلاف.[١]

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٤.

obeikandl.com

الموضوع الخامس

أسماء القرآن وأسماء سوره

تناول هذا الموضوع في مقدمة تفسيره ابن جرير الطبري[١]، والماوردي[٢]، وابن عطية[٣]، وابن جزي[٤]، وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: أسماء القرآن الكريم:

سمَّى اللَّه تعالى تنزيله العظيم في كتابه الكريم بأربعة أسماء[٥]:

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٩٤ - ١٠٤.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٢٣ - ٢٤.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ٦٨ - ٦٩.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ٧.

(٥) وهناك من زاد في الأسماء فذكر كثيراً من الأوصاف، وعدَّها أسماءً حتى بلغت نحواً من ستين اسماً، ذكر منها أبو المعالي المعروف بشيذلة في كتابه البرهان خمساً وخمسين اسماً، وزاد القرطبي في التذكار في أفضل الأذكار أسماءً غيرها. ومن الأوصاف تسميته (كلاماً) مشتق من الكلم بمعنى التأثير، ومنها (الهدى) لكونه دليلاً على الحق، ومنها (الحكمة) و(الحبل) و(الرحمة) وغير ذلك. انظر: التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي: ٢٣ - والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ٢٧٣ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٤٣ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٤١٦ تحقيقي.

الأول: (القرآن) قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

الثاني: (الفرقان) قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان: ١].

الثالث: (الكتاب) قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ للّه الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١].

الرابع: (الذكر) قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].(١)

قال ابن جرير: ولكل اسم من أسمائه الأربعة من كلام العرب معنى ووجهٌ غيرُ معنى الآخر ووجهه.(٢)

فأما تسميته (قرآناً) ففيه تأويلان:

أحدهما: وهو قول ابن عباس، أنه مصدر من قولك (قَرَأْتُ) أي: بيَّنتُ. ثم أطلق على المقروء(٣).

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٥ - والماوردي: ١/ ٢٣ - وابن عطية: ١/ ٦٨ - وابن جزي: ١/ ٧.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٤.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٤ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٣ - وابن عطية: ١/ ٦٨ - وابن جزي: ١/ ٦.

قال ابن عطية: قرأ الرجل إذا تلا، يقرأ قرآناً وقراءة، وحكى أبو زيد الأنصاري: وقُرْءاً.[١].

روى ابن جرير الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ يقول: بيَّناه، ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨] يقول: اعمل به.[٢]

قال ابن جرير: ومعنى قول ابن عباس هذا: فإذا بيّناه بالقراءة فاعمل بما بيناه لك بالقراءة.[٣]

فالقرآن على هذا مصدر من (قرأ) إذا (تلا)، ومن هذا قول حسان ابن ثابت يرثي عثمان بن عفان - رضي اللَّه عنه -:

ضَحَّوا بأَشْمَطَ عُنْوانُ السُّجود به يُقَطِّعُ اللَّيلَ تَسْبيحاً وقُرْآناً

أي: قراءة.[٤]

والآخر: وهو قول قتادة، أنه بمعنى التأليف، مصدر من قولك: قرأت الشيء: إذا جمعتَهُ وضممتَ بعضه إلى بعض. مأخوذ من قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلىً قط. أي: لم ينضم رحمها على ولد.

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ٦٨.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٥.

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٧ - وابن عطية: ١/ ٦٩ - وهو في ديوان الشاعر: ٤١٠.

obeikandl.com

قال عمرو بن كلثوم[١]:

ذِرَاعَـيْ عَيْطَـلٍ أدْمـاءَ بِكْـرٍ هِجَانِ اللَّون لَـمْ تَقْـرَأ جَنِينـا[٢]

قال الماوردي: ولهذا سمي قرء العـدة قـرءاً، لاجتمـاع دم الحيـض في الرحم.[٣]

قال ابن عطية: قرأ الرجل إذا جَمَعَ وألَّفَ قولاً.[٤]

وبه فسَّرَ قتادة قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَـهُ وَقُرْآنَـهُ﴾ يقـول: حفظـه وتأليفه. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ اتبع حلاله، واجتنب حرامه[٥].

فتأويل القرآن على رأي قتادة هو التأليف.

قال الطبري: ولكلا القولين - أي قـول ابـن عبـاس وقتـادة - وجـه صحيح في كلام العرب، غير أنَّ أولى قولَيْهما بتأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَـا

---

(١) هو عمرو بن كلثوم بن مالك من بني تغلب بن وائل، شاعر فارس جاهلي قديم، أحـد فُتاك العرب، وهو قاتل عمرو بن هند الملك. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبـة: ١٣٧ - وخزانة الأدب للبغدادي: ٣/ ١٨٣.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٦ - والماوردي: ١/ ٢٤ - وابن عطية: ٦٩.

(٣) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٢٤.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٦٩.

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١/ ٩٦.

جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قول ابن عباس.[١] ورجحه ابن عطية وقال: إنه أقوى.[٢]

ويؤخذ على قول قتادة أن اللَّه جلَّ ثناؤه أمر نبيه ﷺ في غير آية من تنزيله باتباع ما أوحي إليه، ولم يرخص في ترك اتباع شيء من أوامره إلى وقت تأليف القرآن، فكذلك قوله ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ لو وجَبَ أن يكون معنى قوله ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ فإذا ألَّفناه فاتبع ما ألَّفنا لك فيه، لكان الأمر الوارد في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ والفرض الواجب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾--﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ غير ملزم إلى حين تأليف القرآن، والقائل به خارج عن الملة.[٣].

وعليه فحكم كل آية من آي القرآن لازم للرسول ﷺ اتباعُه والعمل به، حين نزوله.

وأما تأويل اسمه (الفرقان):

فالفرقان مصدر، قال ابن جرير: وأصله عندنا: الفرق بين الشيئين، والفصل بينهما، وقد يكون ذلك بقضاء واستنقاذٍ، وإظهار حُجَّة ونصرٍ،

---

(١) تفسير ابن جرير: ١/ ٩٦.

(٢) تفسير ابن عطية: ١/ ٦٩.

(٣) نظر: تفسير الطبري: ١/ ٩٧.

وغير ذلك من المعاني المفرِّقَة بين المحق والمبطل.[١]

وقد قيل في تسمية التنزيل ﴿فُرْقَاناً﴾ أقوال متعددة متقاربة:

فعن عكرمة فيما رواه ابن جرير أنه كان يقول: هو النجاة. وكذلك كان السدي وغيره يتأوله.

وعن ابن عباس ورواية عن مجاهد: الفرقان: المخرج.

وفي رواية عن مجاهد أيضاً أنه كان يقول في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] يوم فَرَّقَ اللَّه فيه بين الحق والباطل.[٢]

قال ابن عطية: سُمِّي - أي كتاب اللَّه - فرقاناً؛ لأن اللَّه فرق فيه بين الحق والباطل - وهو قول الجماعة[٣] - والمؤمن والكافر فرقاً وفرْقاناً.[٤]

وكل تلك الأقوال صحيحة لاتفاق معاني ألفاظها في ذلك، وبذلك يتبين أن كتاب اللَّه سُمِّي فرقاناً لفصله بحججه وأدلَّته، وحدود فرائضه

---

(١) نظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٩.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٨ - ومعاني القرآن للزجاج: ٤/ ٥٧ - وجمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٧ - والبرهان للزركشي: ١/ ٢٨٠.

(٣) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٢٤ - وانظر جمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٨.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٦٩ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٧ - وهو قول أبي عبيدة. انظر مجاز القرآن: ١/ ١٨ - وجمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٨.

وسائر معاني حُكمه بين المحق والمبطل، وفرقانه بينهما بنصرة المحق وتخذيله المبطل حُكماً وقضاءً.[١]

وأما تأويل اسمه (الكتاب)

فالكتاب مصدر من كَتَبَ إذا جمع، ومنه قيل: كتيبة لاجتماعها، قال سالم بن دارة[٢] يهجو ثابت بن رافع الفزاري:

لا تـأْمَنَنَّ فَزَارِيّـاً خَلَـوْتَ بِـهِ على قَلُوصِكَ واكْتُبْهَا بأَسْيَارِ[٣]

والكتاب: هو خطُّ الكاتب حروفَ المعجم مجموعة ومتفرقة، وسمي كتاباً وإنما هو مكتوب كما قال الشاعر:

تُؤَمِّـلُ رَجْعَـةً مِنِّـي وَفيهـا كِتَـابٌ مِثْـلَ مـا لَصِـقَ الْغِـراءُ

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٩.

(٢) هو سالم بن دارة بن مسافع بن عقبة الجشمي الغطفاني، المعروف بابن دارة، ودارة أمه، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، قتله زُميل بن عبد مناف لما هجا ثابت بن رافع الفزاري. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢٥٣ - وخزانة الأدب للبغدادي: ٢/ ١٤٤.

(٣) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٢٤ - وتفسير ابن عطية: ١/ ٦٩ - وانظر: الشعر والشعراء: ٢٥٣ - قلت: ومنه قيل: تكتَّب بنو فلان، أي اجتمعوا. وسمي التنزيل كتاباً لما اجتمع فيه من المعاني كالأمر والنهي والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والحلال والحرام، ونبأ ما كان وما يكون.... ولأنه جمع فيه كل شيء. وقال أو عبيد: سمي كتاباً لأنه جمع السور وضمها. انظر: جمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٨.

يعني به مكتوباً.[١]

وأما تأويل اسمه (الذكر): ففيه ثلاثة تأويلات:

الأول: أنه ذكر من اللَّه جلَّ ذكره، ذكَّر به عباده، فعرَّفهم فيه حدوده وفرائضه.

قال ابن عطية: ذكر به الناس آخرتهم وإلهَهُم وما كانوا في غفلة عنه فهو ذكر لهم.[٢]

الثاني: أنه ذكرَ وشرف وفخر لمن آمن به وصدَّق بما فيه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الأحزاب: ٤٤] يعني شرف له ولقومه[٣]. قال ابن عطية: ولسائر العلماء به.[٤]

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٩ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٤ - وقد قال أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير ابن جرير: لم أجد هذا البيت في شيء من المراجع التي بين يدي.

وانظر في معنى كتاب: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (كتب): ٥/ ١٥٨ - ومعاني القرآن للزجاج: ١/ ١٧٠.

(٢) تفسير ابن عطية: ١/ ٦٩ - وانظر: جمال القراء للسخاوي: ١/ ٣١.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٩ - والماوردي: ١/ ٢٤ - وابن عطية: ١/ ٦٩ - وجمال القراء للسخاوي: ١/ ٣١.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٦٩.

الثالث: سمي بذلك لأن فيه ذكرالأمم الماضية والأنبياء.[١]

وهناك صفات أخرى وصف اللَّه بها تنزيله، هي صفات لا أسماء، كوصفه تعالى تنزيله بالعظيم والذكر والمتين والعزيز وغير ذلك.[٢]

المسألة الثانية: أسماء سور القرآن:

قال ابن جرير الطبري: لسور القرآن أسماء سمَّاها بها رسول اللَّه ﷺ.[٣]

ثم روى بسنده عن واثلة بن الأسقع، عن رسول اللَّه ﷺ قال: أعطاني ربي مكان التوراة السبعَ الطُّوَل، ومكان الإنجيل المثاني، ومكان الزبور المئين، وفضَّلني ربي بالمفصَّل.[٤]

وبسند آخر عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: أُعطيتُ مكان التوراة السبع الطَّوَل، وأُعطيت مكان الزَّبور المئين، وأُعْطيت مكان الإنجيل المثاني،

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٦٩ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٧.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٧.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٠.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٠ - وأورده الماوردي في تفسيره: ١/ ٢٥، وفي سنده ليث ابن أبي سُلَيم، قال في التقريب: ٢/ ١٣٨: صدوق اختلط أخيراً، ولم يتميز حديثه فتُرك. وانظر: تهذيب الكمال للمزي ٢٤/ ٢٧٩ - وطبقات ابن سعد: ٦/ ٣٤٩ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٦/ ١٧٩.

وفُضِّلتُ بالمفصَّل.[١]

قال الطبري: (السبع الطُّول): ﴿البقرة﴾ و﴿آل عمران﴾ و﴿النِّسَاء﴾ و﴿المائدة﴾ و﴿الأنْعَام﴾ و﴿الأعراف﴾ و﴿يونس﴾ في قول سعيد بن جبير.

وبنحوه عن ابن عباس.[٢]

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٠ - والحديث الذي سبق إسناد آخر لهذا الحديث، وهو إسناد مشكل كما قال أحمد شاكر. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (ح١٨٦ و١٨٧- ٢٢/ ٧٥) - والبيهقي في الشعب: (ح٤٢١ - ٢/ ٧٥١) و(ح٤٨٨ - ٢/ ٨٦٦) وذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ٣٤ وعزاه لأبي عبيد وقال: غريب وسعيد بن بشير فيه لين. وتعقبه العلامة شاكر فقال: هو تعليل غير محرر، فإن سعيد بن بشير لم ينفرد به بل تأيدت روايته برواية الطيالسي عن أبي العوام عمران بن داور، وهو إسناد صحيح. تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٠ حاشية (٢) وأورده السيوطي في الجامع الصغير، ورمز لحسنه وعزاه للطبراني والبيهقي. قال المناوي: وكذا أحمد. فيض القدير: ١/ ٥١٦ - ومسند أحمد: ٤/ ١٠٧ وفضائل القرآن لأبي عبيد: ١٥٧.

(٢) تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٢ - ١٠٣ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٦.

وأخرجه أبو عبيد في فضائله: ١٥٨ - والحاكم في المستدرك: ٢/ ٣٥٥ وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. - والبيهقي في الشعب: (ح٤٢٣ - ٢/ ٧٥٦) و(ح٤٢٤ - ٢/ ٧٥٦) وانظر: فتح الباري لابن حجر: ٨/ ٣٨٢ - والزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة: ٢/ ٥٩١ بتحقيقي.

وقد اختلف العلماء في السابعة من الطُّوَل، فعن جماعة هي ﴿براءة﴾، وفي رواية عند=

قال الماوردي: وهو الصحيح.[١]

وإنما سميت هذه السور السبع الطُّوَل لطولها على سائر سور القرآن.[٢]

أما (المئون): فهي ما كان من سور القرآن عدد آيه مائة آية أو تزيد عليها شيئاً أو تنقص عنها شيئاً.[٣]

أما (المثاني): ففيها ثلاثة تأويلات:

أحدها: ما ثنى المئين فتلاها، وكان المئون لها أوائل، وكان المثاني لها ثواني. قال بعض الشعراء:

=الحاكم أنها ﴿الكهف﴾. ونسي الراوي السابعة في الرواية التي أخرجها الحاكم والنسائي وغيرهما عن ابن عباس. وفي رواية صحيحة عن ابن أبي حاتم وغيره عن سعيد بن جبير أنها ﴿يونس﴾، قال ابن عقيلة: فكأن القائلين بأنها ﴿يونس﴾ مشوا على ترتيب مصحف أُبي وابن مسعود، فإنها في مصحفيهما هي السابعة من الطُّوَل على اختلاف بينهما في الترتيب.... انظر: جمال القراء للسخاوي: ١/ ٣٤ - والبرهان للزركشي: ١/ ٢٤٤ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٩٩ط البغا.

(١) تفسير الماوردي: ١/ ٢٦.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٣ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٦.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٣ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٦ - وانظر البرهان للزركشي: ١/ ٢٤٥ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٩٩ط البغا.

حَلفتُ بالسبَّع اللّواتي طُوِّلتْ وبِمِئين بعدَها قد أُمْئِيَتْ
وبمَثَانٍ ثُنِّيتْ فكُرِّرتْ وبالطَّواسِينِ التي قد ثُلِّثَتْ
وبالحواميم اللَّواتي سُبِّعَتْ وبالمفصّل اللَّواتي فُصِّلَتْ[١]

والثاني: لتثنية اللَّه جلَّ ذكره فيها الأمثالَ والخَبَر أو العِبرَ[٢]. وقيل: الفرائض والحدود. وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقال جماعة يكثر تعدادهم: القرآن كله مثانٍ.[٣]

والثالث: أنها فاتحة الكتاب، لأنها تُثْنى قراءتُها في كل صلاة[٤]. وهو قول الحسن البصري، قال الراجز:

نَشَدْتُكم بمنزل القرآن أُمِّ الكتاب السبعِ مِنْ مَثانِي
ثنّينَ مِنْ آي مِنَ القرآن والسَّبع سَبْع الطُّوَل الدَّواني[٥]

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٤ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٦.

(٢) في الإتقان: لتثنيته فيها الأمثال بالخبر والعبر. حكاه النكزاوي: ١/ ١٩٩ط البغا.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٣ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٦.

(٤) وقيل بل المثاني مشتق من الثناء، لما في الفاتحة من الثناء على اللَّه سبحانه. وقيل لأنها - أي الفاتحة - تثنى بسورة أخرى. وقيل: لأنها نزلت مرتين.

انظر: البرهان للزركشي: ١/ ٢٠٧ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٥٢ط أبو الفضل - وتفسير القرطبي: ١/ ١١٢ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٤٣٢ تحقيقي.

(٥) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٢٦ - وزاد الفراء قولاً رابعاً فقال: المثاني هي السورة التي=

وأما (المفصل) فإنها سميت مفصَّلاً لكثرة الفصول التي بين سورها بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾[١].

قال الماوردي: وسمي المفصل محكماً لما قيل: إنه لم ينسخ شيء منه[٢].

واختلفوا في أول المفصل على ثلاثة أقوال:

أحدها: وهو قول الأكثرين أنه سورة «محمد ﷺ» إلى سورة الناس.

والثاني: أنه من سورة «ق» إلى الناس. حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة.

والثالث: أنه من سورة «الضحى» إلى الناس، وهو قول ابن عباس، وكان يفصل في سورة الضحى بين كل سورتين بالتكبير على رأي قراء مكة.[٣]

=آيها أقل من مائة؛ لأنها تُثنَّى - أي تكرر - أكثر مما يثنى الطُّوَل والمئون. انظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ١٩٩ط البغا. وفي جمال القراء للسخاوي: ١/ ٣٥ هي السُّوَر التي ثُنيت فيها القصص.

(١) انظر تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٤ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٦ - وانظر: جمال القراء للسخاوي: ١/ ٣٥.

(٢) روى البخاري في صحيحه وغيره عن سعيد بن جبير قال: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم. البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: تعليم الصبيان القرآن: ٦/ ١١٠ - والمسند للإمام أحمد: ٢٥٣.

(٣) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٢٦ - ٢٧ - وانظر: جمال القراء للسخاوي: ١/ ٣٥=

الموضوع السادس

فضائل القرآن وخواصه وآداب تلاوته

تناول هذا الموضوع في مقدمته الواحدي[١]، والبغوي[٢]، وابن عطية[٣]، والقرطبي[٤]، والخازن[٥]، وابن جزي[٦]، وأبو حيان[٧]، وابن كثير[٨]، وأولاه

=والإتقان للسيوطي: ١/ ٢٠٠ط البغا.

قلت: واختلف أهل العلم في أول المفصل على اثني عشر قولاً كما أفاد السيوطي في إتقانه، وصحح النووي أن أول المفصل سورة «الحجرات».

وهو - أي المفصل - ثلاثة أقسام: طوال، وأوساط، وقصار، وفي تعيينها خلاف. انظر في ذلك: الإتقان للسيوطي: ١/ ٢٠٠ط البغا - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٥٩٩ بتحقيقي. - ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٣٤٥.

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٤٩.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٣٨ - ٤١.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ١٤ - ٢٦.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ٢ - ٤ - ١٠ - ١٧ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٦ - ٢٧ - ٣٩ - ٥٤ - ٦١ -٧٨.

(٥) انظر: تفسير: ١/ ٤ - ٦.

(٦) انظر: تفسيره: ١/ ٣ - ٢٤.

(٧) انظر: تفسيره: ١/ ٢٣.

(٨) انظر: تفسيره: ١/ ١٢.

القرطبي من بين المذكورين عناية خاصة، فشغلت حيزاً كبيراً من مقدمته، وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: في التنبيه على أحاديث ضعيفة وُضِعَت في الفضائل[١]:

نبه القرطبي - يرحمه اللَّه - في مقدمته إلى أمر هام، حين ذكر أن جماعة من الوضاعين، وضعوا أحاديث مكذوبة، وأخبار مختلفة، في الفضائل عامة وفي فضائل القرآن خاصة، ونسبوا ذلك إلى رسول اللَّه ﷺ وكبار الصحابة وسلف الأمة، وبيَّن اختلاف مقاصد وأغراض تلك الجماعات[٢].

وقد انتشرت تلك الموضوعات بين عامة المسلمين، وتناقلها القصاص، ووُجِدت في ثنايا كتب بعض المنتسبين للعلم دون التنبيه عليها.

وكان لهذا الإفك أغراض عديدة فمنها:

١- إيقاع الشك ببعض أمور الدين في قلوب الناس، كما فعل قوم من الزنادقة أمثال المغيرة بن سعيد الكوفي، ومحمد بن سعيد الشامي

---

(١) قدمت هذا الفصل بهذه المسألة، وقد أخرها القرطبي فذكرها في خاتمة مقدمته، وذلك لتنبيه القارىء، إلى خطورة هذا الأمر، ومن ثم ليولي انتباهاً خاصاً لدرجة الأحاديث والآثار التي قد تمر به في هذا الباب. فإن المحفوظ عند الخاصة والعامة من الأحاديث الموضوعة والضعيفة في الفضائل تفوق الصحيحة واللَّه أعلم.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٨ - وانظر: المجروحين لابن حبان: ١/ ٦٢ - ٨٥.

المصلوب وغيرهما، فقد افترى هذا الأخير على أنس بن مالك أنه قال في قوله ﷺ: «أنا خاتم الأنبياء، لا نبي بعدي.» فزاد الراوي: «إلا ما شاء اللَّه» لما كان يدعو إليه من الإلحاد والزندقة.(١)

٢- ما وضع تبعاً للهوى، كما فعلت الخوارج، قال أحد شيوخهم بعد أن منَّ اللَّه عليه بالتوبة: إن هذه الأحاديث دين فانظروا ممن تأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيَّرناه حديثاً.(٢)

٣- ما وضع حسبة من بعض جهلة المسلمين، يريدون به حسب زعمهم ترغيب الناس في الفضائل(٣)، كما فعل نوح بن أبي مريم المروزي المعروف بأبي عِصْمَة(٤)، وكما فعل محمد بن عكاشة الكرماني وغيرهما،

---

(١) المرجع السابق: ١/ ٧٨ - أورده ابن الجوزي في الموضوعات: ١/ ٢٧٩ - ٣٧٧ - والسيوطي في اللآلىء المصنوعة: ١/ ١٣٧ - والشوكاني في الفوائد المجموعة: ٣٢٠ وقال: رواه الجوزقاني.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٨ - وكتاب المجروحين لابن حبان: ١/ ٨٢.

(٣) قال النووي: أعظمهم ضرراً قوم ينسبون إلى الزهد، وضعوه حسبة في زعمهم. تدريب الراوي للسيوطي: ١/ ٢٨٢ط دار الكتب الحديثة.

(٤) هو قاضي مرو، كان يُعرف بالجامع لجمعه العلوم، كذبوه في الحديث قال ابن المبارك: كان يضع الحديث. انظر ترجمته: المجروحين لمحمد بن حباز البستي: ٣/ ٤٨ - والضعفاء الكبير للذهبي: ٤/ ٣٠٤ - والكامل في الضعفاء لابن عدي: ٧/ ٢٥٠٥.

وقد قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق؛ فوضعت هذا الحديث حسبة.[١]

٤- ما وضع من بعض السؤَّال والمُكدِّين، يقصدون به جمع المال، فيقفون في المساجد ويضعون لكل مجلس ما يوافق هواهم، ليعطوهم، وقد يضعون لموضوعاتهم أسانيد صحيحة حفظوها، ومن ذلك القصة المشهورة في أجر من قال: لا إله إلا اللَّه، والتي ذكرها جعفر بن محمد الطيالسي[٢]، عن القاص الذي نسب إلى ابن حنبل وابن معين ما لم يقولاه، وأوردها القرطبي بطولها في مقدمته.[٣]

وغير ذلك من الأغراض والأهداف، التي تناولها الوعيد الوارد في قوله ﷺ: اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٨ - تدريب الراوي للسيوطي: ١/ ٢٨٢ط دار الكتب الحديثة.

(٢) هو جعفر بن محمد بن أبي عثمان الطيالسي، حافظ مجود، ثبت ثقة، اشتهر بالإتقان والحفظ والصدق، توفي (٢٨٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣/ ٣٤٦ - وتاريخ بغداد للخطيب: ٧/ ١٨٨.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٩ - وانظر: كتاب المجروحين لابن حبان: ١/ ٨٥.

مقعده من النار.[١]

قال القرطبي: ولو اقتصر الناس على ما ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرها من المصنفات التي تداولها العلماء، ورواها الأئمة الفقهاء، لكان لهم في ذلك غُنية، وخرجوا عن تحذيره ﷺ.[٢]

المسألة الثانية: في ذكر شيء من فضائل القرآن:

ذكر المفسرون في مقدماتهم كثيراً من الأحاديث والآثار وأخبار السلف وعاداتهم مع القرآن، وتفاوتت درجات المرويات بين الصحيح الثابت وبين الضعيف المردود، وغالب تلك المرويات هي مما حفلت به كتب التفسير والفضائل، وأرى أن الاقتصار على ذكر نماذج منها في هذا الموضع هو الأسلم.

وفي هذه المسألة عدة مطالب:

المطلب الأول: فضل الاعتصام بكتاب اللّه:

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٨٠ - والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند: (ح٢٦٧٥ - ٤/ ٢٣٥) وقال شاكر: إسناده ضعيف، لضعف عبد الأعلى الثعلبي. وهو في المجمع: ١/ ١٤٦ ونسبه للطبراني وأعله بعبد الأعلى. وأصله في البخاري، كتاب العلم، باب: إثم من كذب على النبي ﷺ: ١/ ٣٥.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٨٠.

روى الواحدي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: إني قد خَلَّفْتُ فيكم شيئين لن تضلوا أبداً ما أخذتم بهما، وعملتم بما فيهما، كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوض.(١)

وأخرج البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب أنه قال: أما إن نبيكم ﷺ قال: إن اللَّه تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين.(٢) قال البغوي: صحيح أخرجه مسلم عن زهير بن حرب(٣).

---

(١) تفسير الواحدي: ١/ ٥٠ - وأخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٩٣ وسكت عنه - وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات كما ذكر السيوطي وابن عقيلة، وأشار السيوطي إلى حسنه، وصححه الألباني صحيح الجامع الصغير: (ح٣٢٢٧ - ٣/ ١١١). وقال المناوي:، ورواه عنه أيضاً الدارقطني باللفظ المذكور وفيه - كما قال - الفريابي صالح بن موسى ضعفوه، وعنه داود بن عمر الضبي قال أبو حاتم: منكر الحديث. انظر: فيض القدير: ٣/ ٤٤٣، وانظر الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦٤٢ - ورواه أحمد في المسند: ٣/ ١٧ - ٢٦ عن أبي سعيد - وذكره الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي والسامع: ١/ ١١١.

(٢) تفسير البغوي: ١/ ٤٠ - وأورده الخازن في تفسيره: ١/ ٤ - وهو في مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه: ١/ ٥٥٩.

(٣) هو زهير بن حرب بن شداد الحرشي، أبو خيثمة، محدث حافظ حجة، صاحب تصانيف مشهورة، توفي (٢٣٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١١/ ٤٨٩ - وتاريخ بغداد للخطيب: ٨/ ٤٨٢.

وعن زيد بن أرقم[١] قال: قام رسول اللَّه ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى (خماً) بين مكة والمدينة، فحمد اللَّه وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد: ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب اللَّه، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللَّه واستمسكوا به. فحثَّ على كتاب اللَّه ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم اللَّه في أهل بيتي. وزاد في رواية: كتاب اللَّه فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضلَّ.[٢]

وأخرج البغوي بسنده عن الحارث الأعور[٣] قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على علي - رضي اللَّه عنه - فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: أما إني قد سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: ألا

---

(١) هو زيد بن أرقم بن زيد الأنصاري الخزرجي، روى عن النبي ﷺ، وعن علي بن أبي طالب وعنه أنس بن مالك وغيره، غزا مع رسول اللَّه ﷺ سبع عشرة غزوة، توفي (٦٦هـ) انظر: الإصابة لابن حجر: ١/ ٥٦٠ - وتهذيب الكمال للمزي: ١٠/ ٩.

(٢) تفسير الخازن: ١/ ٤ - والحديث في صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل علي بن أبي طالب: ٤/ ١٨٧٠ - وذكر ابن عطية نحوه: ١/ ١٤ - وأبو حيان في تفسيره: ١/ ٢٤ وغيرهم.

(٣) هو الحارث بن عبد اللَّه بن كعب الهمداني الكوفي الأعور، فقيه، كثير العلم، لين الحديث، تُكلم فيه، وكان غالياً في التشيع. توفي (٦٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ١٥٢ - وشذرات الذهب لابن العماد: ١/ ٧٣.

إنها ستكون فتنة. قلت: ما المخرج منها يا رسول اللَّه؟ قال: كتاب اللَّه، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه اللَّه، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله اللَّه، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغُ به الأهواء، ولا تلبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يَخْلَق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١-٢] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم. خذها إليك يا أعور.

قال أبو عيسى: هذا لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، والحارث فيه مقال[1].

---

(١) تفسير البغوي: ١/ ٣٩. وأورده ابن عطية بنحوه في تفسيره: ١/ ١٣ - والقرطبي في تفسيره: ١/ ٥ وقال: الحارث رماه الشعبي بالكذب وليس بشيء، ولم يَبِنْ من الحارث كذب، وإنما نُقم عليه إفراطه في حب عليٍّ وتفضيله له على غيره. ومن هاهنا - واللَّه أعلم - كذَّبه الشعبي؛ لأن الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر، وإلى أنه أول من أسلم. قال ابن عبد البر: وأظن الشعبي عوقب لقوله في الحارث الهمداني: حدثني الحارث وكان أحد الكذابين. اهـ- والخازن في تفسيره: ١/ ١٢، وأخرجه الترمذي في سننه: (ح٣٠٧٠ - ٤/ ٢٤٥) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال. وهو في سنن الدارمي: (ح٣٣٣٤ - ٢/ ٣١٢) - وأخرجه الفريابي في فضائله: (ح٨٠ - ١٨٤) - وابن أبي شيبة في مصنفه بنحوه عن علي: ١٠/ ٤٨٢ -=

المطلب الثاني: في ذكر شيء مما جاء في فضل تعلم القرآن وتعليمه:

أخرج البغوي بسنده وغيره عن أنس عن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ كان يقول: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأُتْرُجَّة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن، كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها.(١)

=وانظر جامع الأصول: ٢/ ٤٦١.

وقد عقب الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن: ص، ٥ على قول الترمذي السابق فقال: لم يتفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور فبرىء حمزة من عهدته، على أنه وإن كان ضعيف الحديث فإنه إمام في القراءة، والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا، قال: وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي - رضي اللَّه عنه - وقد وهم بعضهم في رفعه وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد اللَّه ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ.

(١) تفسير البغوي: ١/ ٤٢ وقال: صحيح أخرجه البخاري عن قتيبة عن أبي عوانة عن قتادة - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦، ٧ - الخازن: ١/ ٥ - وابن جزي: ١/ ٢٤ - وهو في صحيح البخاري: كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل القرآن على سائر الكلام: ٦/ ١٠٧، وباب: من رايا بقراءة القرآن أو تأكل به: ٦/ ١١٥، وفي الطعام: ٦/ ٢٠٧،=

وأخرج البغوي بسنده عن ابن مسعود قال: إن هذا القرآن مأدبة اللَّه فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل اللَّه والنور المبين والشفاء النافع وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، فاتلوه فإن اللَّه عزَّ وجلَّ يأجركم على تلاوته، بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول ﴿الم﴾ حرف، ولكن الألف حرف، واللام حرف، والميم حرف.

وهو في الخازن بلفظ: من قرأ حرفاً من كتاب اللَّه فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الم﴾ حرف، ولكن ألف حرف.... الحديث[1].

وأخرج البغوي بسنده أيضاً عن عثمان عن النبي ﷺ قال: خيركم

=والتوحيد: ٨/ ١٢٨ - وفي صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضيلة حافظ القرآن: (ح٧٩٧ - ١/ ٥٤٩) - والإمام أحمد في المسند، انظر الفتح الرباني للساعاتي: ١٨/ ١٢ - والترمذي في سننه: (ح٣٠٢٥ - ٤/ ٢٢٧) - والنسائي في فضائل القرآن: (ح١٠٦ - ١١١) - والبيهقي في الشعب: (ح٣٩ - ١/ ١٠٣).

(١) تفسير البغوي: ١/ ٤٠ - وهو في القرطبي بألفاظ متقاربة: ١/ ٥ وعزاه لابن الأنباري في الرد على من خالف مصحف عثمان. - وهو في الخازن: ١/ ٥ - وفي تفسير أبي حيان: ١/ ٢٤ - ولفظ البغوي أخرجه الدارمي في سننه: ٢/ ٤٣١، ولفظ الخازن أخرجه الترمذي في سننه: (ح٢٩١٠ - ٥/ ١٧٥) وقال: حديث حسن صحيح غريب - وأخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٥٥٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه - وابن الضريس في فضائل القرآن: (ح٥٩ - ٤٦) - وأبو عبيد في فضائل القرآن: (ح٢٣ - ١٢) - وابن المبارك في الزهد: (ح٨٠٨ - ٢٧٩).

من تعلم القرآن وعلَّمه. وفي رواية زيادة: فإن اللَّه يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع آخرين[١].

وأخرج بسنده أيضاً عن عائشة - رضي اللَّه عنها - عن النبي ﷺ قال: مثل الماهر بالقرآن مثل السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران.[٢]

قال القرطبي: التتعتع: التردد في الكلام عياً وصعوبة؛ قال: وإنما كان له أجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة، ودرجات الماهر فوق ذلك كله؛ لأنه قد كان القرآن متعتعاً عليه، ثم ترقى عن ذلك إلى أن شُبه بالملائكة.[٣]

---

(١) تفسير البغوي: ١/ ٣٩ - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦ - والخازن: ١/ ٥ - وابن جزي: ١/ ٢٤ - وأبا حيان: ١/ ٢٤ بلفظ (أفضلكم) - وبوب عليه البخاري في صحيحه، وبهما وردت الرواية عنده، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلَّمَهُ: ٦/ ١٠٨.

(٢) تفسير البغوي: ١/ ٤١ وقال: صحيح. وأورده ابن عطية بنحوه: ١/ ١٨ - والقرطبي: ١/ ٧ - وابن جزي: ١/ ٢٤ - وهو في البخاري: كتاب: التفسير، سورة «عبس»: ٦/ ٨١، وبوب عليه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب: (٥٢): ٨/ ١٤٢، وصحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل الماهر بالقرآن: (ح٧٩٨ - ١/ ٥٤٩)، وأخرجه غيرهما. وانظر: الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦٦٩.

(٣) تفسير القرطبي: ١/ ٧.

وعن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رجل: يا رسول اللَّه صلى اللَّه عليك وسلم، أي الأعمال أحب إلى اللَّه؟ قال: الحال المرتحل. قال: وما الحال المرتحل؟ قال: الذي يضرب من أول القُرآن إلى آخره كلما حلَّ ارتحل.(١)

المطلب الثالث: ذكر شيءٍ مما جاء في فضل حامل القرآن:

أخرج البغوي بسنده عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: إنَّ الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب.(٢)

---

(١) تفسير الخازن: ١/ ٥ - وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب: القراءات، باب: (١٣): (ح٢٩٤٨ - ٥/ ١٩٧) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بالقوي. وذكره من طريق آخر عن زرارة بن أوفى وقال: هذا عندي أصح. - وأخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٥٦٨ وقال: تفرد به صالح المري، وهو من زهاد أهل البصرة إن الشيخين لم يخرجاه. قال الذهبي في التلخيص: صالح المري متروك. - وأخرجه البيهقي في الشعب: (٦٦ - ١/ ١٥٩) - وابن جزي في النشر: ٢/ ٤٤٦ وانظر: تفسير (رواه الترمذي مرسلاً، وقال: إنه أصح. اهـ. وقطع بصحته أبو محمد المكي، وسكت عليه البيهقي في الشعب فلم يذكر فيه ضعفاً كعادته، وضعفه أبو شامة من قِبَل صالح المري.).

(٢) تفسير البغوي: ١/ ٤١ - وانظر: تفسير الخازن: ١/ ٥ - وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب: أبواب فضائل القرآن، باب: (١٨): (ح٢٩١٣ - ٥/ ١٧٧) وقال: حديث حسن صحيح. - وأخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٥٥٧ وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه=

وأورد القرطبي عن ابن الأنباري بسنده عن علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: من قرأ القرآن وتلاه وحفظه أدخله اللَّه الجنة وشفَّعَه في عشرة من أهل بيته كلُّ قد وَجَبَت له النار.(١)

=الذهبي في التلخيص وقال: قابوس فيه لين.

قال أحمد شاكر في مسند الإمام أحمد: ٣/ ٢٩٠: إسناده صحيح، وقابوس بن أبي ظبيان سبق أن ضعفناه في الحديث رقم (٨٨٨) ولكن رأينا أن بعض الأئمة وثقه كابن معين ويعقوب بن سفيان، وأن الترمذي والحاكم يصححان حديثه، فاستدركنا ورجعنا إلى توثيقه. وأورده السيوطي في الجامع الصغير، وعزاه للترمذي والحاكم وأحمد ورمز لصحته، وقال المناوي: قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح. وفاتهما أن فيه قابوس بن أبي ظبيان ضعيف كما بينه ابن القطان، والراوي عن قابوس جرير، وفيه مقال، فالصحة له محال، ومن ثم استدركه الذهبي على الحاكم، وقال: قابوس لين، وقال النسائي: غير قوي. فيض القدير: ٢/ ٣٨٢ - والحديث ذكره المنذري في الترغيب والترهيب: ٢/ ٣٥٩ - والنووي في التبيان: ٢٠ - وهو في كنز العمال للهندي: ١/ ٥٥٣.

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٩ - وانظر: تفسير الخازن: ١/ ٦ بنحوه، وعزاه للترمذي. وهو في الترمذي، كتاب: أبواب فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل قارىء القرآن: (ح٣٠٦٩ - ٤/ ٣٤٥) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس له إسناد صحيح، وحفص بن سليمان أبو عمر البزار - من رجال السند - كوفي يضعف في الحديث. قال ابن حجر في التقريب: ١/ ١٨٦: هو حفص بن أبي داود القارىء، صاحب عاصم، ويقال له حفيص متروك الحديث مع إمامته في القراءة... وأورده القرطبي في التذكار: ٥٥ وقال: وإن كان في إسناده مقال فإن العلماء مجمعون على القول به، وهو في المشكاة=

وأخرج البغوي بسنده عن عبد اللَّه بن عمر - رضي اللَّه عنهما - عن النبي ﷺ قال: يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها.(١)

وأورد ابن عطية عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - عن النبي ﷺ قال: أشراف أمتي حملة القرآن.(٢)

وأخرج البغوي بسنده عن مِشْرَح بن هاعان، قال: سمعت عقبة بن عامر يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار.

=للتبريزي: ١/ ٦٦٠ - والترغيب والترهيب للمنذري: ٣/ ٣٥٥ - وكنز العمال للهندي: ١/ ٥٢.

(١) تفسير البغوي: ١/ ٤٢ - وعزاه للترمذي - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٨ وعزاه لأبي داود. - والخازن: ١/ ١٨ - وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب: فضائل القرآن، باب: (١٨): (ح٢٩١٤ - ٥/ ١٧٧) وقال: حديث حسن صحيح. - وأبو داود في سننه: (ح١٤٦٤ - ٢/ ٧٣)، والحاكم في المستدرك: ١/ ٥٥٣ وصححه. والآجري في أخلاق أهل القرآن: (ح٩ - ٤٨) وفي مواضع أخرى.

(٢) تفسير ابن عطية: ١/ ١٧ - وأخرجه البيهقي في الشعب: (ح٦٨٤ - ٣/ ١١٤٢) - والطبراني في الكبير: (ح١٣٦٦٢ - ١٢/ ١٢٥) بشطره الأول: قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ١٦١: وفيه سعد بن سعيد الجرجاني، وهو ضعيف. - وأخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء: ٣/ ١١٩٤ - والسهمي في تاريخ جرجان: ٢١٨ - قال الذهبي في الميزان: ٢/ ١٢١: وأما حديث حملة القرآن فرواه - سعد بن سعيد - عن نهشل وهو هالك. - وذكره المنذري في الترغيب: (ح٢٧ - ١/ ٤٣١).

قال البغوي: قيل معناه: مَنْ حمل القرآن وقرأه لم تمسه النار يوم القيامة.[١]

---

(١) وقال أبو عبيد: أراد بالقرآن قلب المؤمن الذي قد وعى القرآن. تفسير البغوي: ١/ ٣٩.

أخرجه أحمد في المسند: ٤/ ١٥١ - ١٥٥ - وأبو عبيد في فضائله: (ح١٤ - ٨) والطبراني في الكبير: (ح٨٥٠ - ١٧/ ٣٠٨) - والدارمي في سننه: (ح٣٣١٣ - ٢/ ٣٠٩) - وأبو يعلى في المسند: ٣/ ٢٨٤ - والبغوي في شرح السنة: (ح١١٨٠ - ٤/ ٤٣٦) - وابن عدي في الكامل: ٦/ ٢٤٦٠ - وأورده الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٥٨، وقال: فيه ابن لهيعة، وفيه خلاف.

وذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير، وعزاه للطبراني عن عقبة بن عامر، وعن عصمة بن مالك ورمز لضعفه. قال المناوي:: قال الهيثمي: فيه عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك.

قال: وقضية تصرف المصنف أنه لم يخرجه أشهر ولا أعلى من الطبراني، وكأنه ذهول، فقد خرجه الإمام أحمد عن عقبة، ورواه عن عقبة أيضاً الدارمي، - قال الحافظ العراقي: وفيه ابن لهيعة - وابن عدي والبيهقي في الشعب عن عصمة المذكور وابن عدي عن سهل بن سعد - قال العراقي: وسنده ضعيف - وقال ابن القطان: فيه من كان يلقن - وقال الصدر المناوي: فيه عند أحمد ابن لهيعة عن مِشْرَح ولا يحتج بحديثهما عن عقبة. اهـ.

قال المناوي: لكنه يتقوى بتعدد طرقه، فقد رواه أيضاً ابن حبان عن سهل بن سعد، ورواه البغوي في شرح السنة وغيره. فيض القدير: ٥/ ٣٢٤ - وانظر: مجمع الزوائد: ٧/ ١٥٨ - والتذكار للقرطبي: ٦٣ - والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (ح٥١٥٨ - ٥/ ٦٦) - وانظر: الزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: ٢/ ٦٥٥ تحقيقي.

المطلب الرابع: ذكر شيءٍ مما جاء في فضل بعض سور القرآن:

أخرج البغوي بسنده عن أبي سلام عن أبي أمامة أنه حدَّثه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين ﴿البقرة﴾ و﴿آل عمران﴾ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غَمَامَتَان، أو كأنهما غَيَايَتَان أو كأنهما فِرْقَان من طير صَوَافَّ تُحاجَّان عن أصحابهما. اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حَسْرَة، ولا يستطيعها البَطَلَة.(١)

وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه ﷺ قال: لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت الذي يُقرأ فيه سورة البقرة.(٢)

---

(١) تفسير البغوي: ١/ ٤٢ وقال: صحيح. وأورده ابن جزي بنحوه: ١/ ٢٥ - والحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة: ١/ ٥٥٣ - والترمذي في سننه، كتاب: أبواب فضائل القرآن، باب: ما جاء في آل عمران: (ح٢٨٨٣ - ٥/ ١٦٠) وقال: حديث حسن غريب - والبيهقي في الشعب: (ح٣٨١ - ٢/ ٦٨٤).

(٢) ذكره ابن جزي في تفسيره: ١/ ٢٥ - وأخرجه أبو عبيد في فضائله: (ح٤٠٩ - ١٥٩) - وأحمد في المسند: ٢/ ٢٨٤ و٣٣٧ - وفي الباب عن أنس وابن مسعود وعبد اللَّه بن مغفل، بلفظ: الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة. وهو في الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٧٢٧ حاشية: (٣ و٤ و٥) تحقيقي.

وعن أُبي بن كعب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: يا أبا المنذر أتدري أيُّ آيةٍ من كتاب اللَّه معك أعْظَمُ؟ قالَ: قُلتُ: ﴿اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: فَضَرَبَ في صدري وقال: واللَّهِ! لِيَهْنِكَ العِلْمُ يا أبا المُنْذرِ.(١)

وعن أبي الدرداء أن رسول اللَّه ﷺ قال: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم الدجال.(٢)

وعنه عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن.(٣)

---

(١) ذكره ابن جزي في تفسيره: ١/ ٢٥ - والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي: ١/ ٥٥٦.

(٢) ذكره ابن جزي في تفسيره: ١/ ٢٥ - والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي: ١/ ٥٥٥ - وابن السني في عمل اليوم والليلة: (ح٦٨١ - ٢٥١) والبغوي في شرح السنة: (ح١٢٠٤ ٤/ ٢٦٩) - والبيهقي في الشعب: (ح٤٤٩ - ٢/ ٧٩٦) وأورده القرطبي في التذكار: ٢٤٧.

(٣) ذكره ابن جزي في تفسيره: ١/ ٢٥ - أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٤١٤ وعزاه لأبي عبيد وأحمد ومسلم وابن الضريس والنسائي، كلهم عن أبي الدرداء. وهو عند مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل قراءة ﴿قل هو اللَّه أحد﴾: ١/ ٥٥٧ - وهو في الموطأ لمالك: ١/ ٢٠٨ - وسنن الدارمي: (ح٣٤٣٥ - ٢/ ٣٣٠) - ومصابيح السنة للبغوي: (ح١٥٥٥ - ٢/ ١٢٤).

وعن عُقبة بن عامر[١] قال: قال رسول اللَّه ﷺ: ألم تر آياتٍ أُنْزِلتِ اللّيلةَ لم يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[٢].

المسألة الثالثة: ما يلزم قارئ القرآن الأخذ به وعدم الإغفال عنه:

فأول ما يلزم قارئ القرآن إخلاص النية للّه. والابتعاد عن الرياء والمباهاة: قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾ [النساء: ٣٦] وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠].

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: إن أول الناس يُقضى عليه يوم القيامة رجل استُشهد فأتي به فعرَّفه نِعَمَه.... إلى أن قال: ورجلٌ تعلَّم العلم وعَلَّمَهُ، وقَرَأ القرآن فأُتي بِهِ فَعَرَّفه نِعَمَه فَعَرَفَهَا، قال: فما عَمِلتَ فيها؟ قال: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وعَلَّمتُه وقَرأتُ فِيكَ القُرآنَ. قال: كَذَبْتَ، ولكنك

---

(١) هو عقبة بن عامر بن عيسى بن عدي الجهني، يكنى أبا حماد، قارىء عالم بالفقه والفرائض، اشتهر بحسن صوته في قراءة القرآن، تولى إمرة مصر من قبل معاوية، توفي سنة (٥٨هـ). انظر تهذيب التهذيب لابن حجر: ٧/ ٢٤٢ - وأسد الغابة لابن عبد البر: ٣/ ٤٢١.

(٢) ذكره ابن جزي في تفسيره: ١/ ٢٥ - وهو في صحيح مسلم: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة المعوذتين: ١/ ٥٥٨.

تعَلَّمْتَ العِلْمَ ليُقَال عَالِمٌ، وقَرَأْتَ القُرْآنَ ليُقَال قارئٌ، فقد قيل. ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار.... الحديث.

وأورده الترمذي وزاد فقال: ثم ضرب رسول اللَّه ﷺ على رُكْبَتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثَلاثَةُ أوَّلُ خلق اللَّهِ تُسْعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يوم القيامةِ.(١)

قال ابن عبد البر: وهذا الحديث فيمن لم يُرِد بعلمه وعمله وجه اللَّه تعالى.(٢)

وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: من تعلم علماً مما يبتغى به وجه اللَّه لا يتعلمه إلا ليصيب به عَرَضَاً من الدنيا، لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة(٣).

وقال سفيان بن عُيَيْنَة: بلغنا عن ابن عباس أنه قال: لو أنّ حملة

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ١٧ - وهو في صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة: ٣/ ١٥١٣ - والترمذي، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الرياء والسمعة: ٤/ ٥٩١ وقال: حسن غريب.

(٢) تفسير القرطبي: ١/ ١٨.

(٣) تفسير القرطبي: ١/ ١٩ - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: العلم، باب: في طلب العلم لغير اللَّه: (ح٣٦٦٤ - ٣/ ٣٢٣) - وابن ماجه في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به: (ح٢٥٢ - ١/ ٩٢).

القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي لأحبهم اللَّه، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم اللَّه، وهانوا على الناس.[١]

أخرج البغوي بسنده عن خيثمة[٢] عن رجل أن عمران بن حصين مر على رجل يقرأ على قوم فلما قرأ سأل، فقال عمران: إنا للّه وإنا إليه راجعون، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: من قرأ القرآن فليسأل اللَّه عزَّ وجلَّ به، فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون الناس به.[٣]

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٢٠.

تفسير القرطبي: ١/ ٢٠.

(٢) هو خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الكوفي لأبيه ولجده صحبة، ثقة صالح، توفي (٨٠هـ). انظر: طبقات خليفة: ١٥٦ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٣/ ١٧٨.

(٣) تفسير البغوي: ١/ ٤٤ - وأخرجه أحمد في المسند: ١/ ٤٣٢ - ٤٣٦ - والآجري في أخلاق حملة القرآن: (ح٢١ - ١٠٦) - وابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/ ٤٨٠ - والبيهقي في الشعب: (ح٦٢١- ٦٢٢ - ٦٢٣ -: ٢/ ١٠٦١) من عدة طرق - والترمذي في سننه، كتاب: فضائل القرآن، باب (٢٠): ٥/ ١٧٩ وقال: حديث حسن ليس إسناده بذاك. وأورده النووي في التبيان: ٤٤.

وقد اختلف العلماء في أخذ الأجرة على تعليم القرآن والتكسب به، فمنهم من منعه مطلقاً كالزهري وأبي حنيفة، ومنهم من أباحه إن لم يشترط كالحسن البصري والشعبي وابن سيرين، ومنهم من أجازه كعطاء ومالك والشافعي. واحتاط بعضهم فرأى أن يشترط للحفظ وتعليم الكتابة. ويراجع في هذه المسألة معالم السنن للخطابي:= =٥/ ٧٠ والتبيان للنووي: ٤٤ - والبرهان للزركشي: ١/ ٤٧٥ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٩٠٩ هامش (١) تحقيقي.

فيجب على قارئ القرآن الذي يطلب علمه أن يبادر بإخلاص النية، وأن يتقي اللَّه في عمله، لينتفع به وينفع. ولا يضير كونه بدأ يريد به المباهاة والشرف في الدنيا، فإنه بطلب العلم وفهمه يتبين له خطأه، ويظهر له الحق، قال الحسن البصري: كنا نطلب العلم للدنيا فجرَّنا إلى الآخرة[١]. وقال سفيان الثوري مثل ذلك. وعن حبيب بن أبي ثابت[٢]: طلبنا هذا الأمر وليس لنا فيه نية ثم جاءت النية.[٣]

ومما يلزم قارئ القرآن معرفته أيضاً، أن يستشعر من فضل القرآن الكريم أنه كلام اللَّه رب العالمين، وأنه غير مخلوق، كلام من ليس كمثله شيء، وصفةُ من ليس له شبيه ولا نِدّ، وأن يعلم أن القراءة أصوات القراء ونغماتهم.

ومن ذلك أيضاً أن يتعاهد القرآن بالقراءة خشية الإفلات، في ليله ونهاره، فقد ورد الوعيد الشديد في حق من أهمله حتى نسيه، ومن ذلك ما أخرجه الشيخان عن أبي موسى الأشعري - رضي اللَّه عنه - أنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: تعاهَدُوا هذا القُرْآنَ، فوالَّذي نفسُ محمد بيده لَهُوَ أشَدُّ

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٢٢.

(٢) هو حبيب بن أبي ثابت قيس ين دينار القرشي الأسدي، إمام حافظ فقيه، حدَّث عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما، أخرج له البخاري وغيره، توفي (١١٩هـ). انظر طبقات خليفة: ١٥٩ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ٢٨٨.

(٣) تفسير القرطبي: ١/ ٢٢.

تفَلُّتاً من الإبل في عُقُلِهَا.[١]

وعن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - أن رسول اللَّه ﷺ قال: إنما مَثَلُ صاحبِ القرآنِ كمَثَلِ صاحبِ الإبل المعقَّلَة، إنْ عاهَدَ عليها أمْسَكَهَا، وإنْ أطْلَقَهَا ذهَبَت.[٢]

---

(١) تفسير الخازن: ١/ ٦ - وهو في البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده: ٦/ ١١١ - وفي مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضائل القرآن وما يتعلق به: ١/ ٥٤٥.

قلت: هذا الحديث يشير فيه الرسول ﷺ إلى أن من تمام وكمال تعظيم القرآن الحرص على عدم نسيانه، والتشبيه بليغ، فكما يخشى على الإبل أن تفلت إن لم تجد الرعاية والعناية، كذلك يخشى على القرآن. وقد اختلف أهل العلم في حكم نسيان القرآن، فمنهم من جعل ذلك من الكبائر، أخرج أبو عبيد من طريق الضحاك بن مزاحم موقوفاً قال: ما من أحد يتعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب أحدثه، لأن اللَّه يقول: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ [الشورى: ٣٠] ونسيان القرآن من أعظم المصائب. ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن هبيرة قوله: رفض القرآن بعد حفظه جناية عظيمة. وعن القرطبي قوله: من حفظ القرآن أو بعضه فقد علت رتبته بالنسبة إلى من لم يحفظه، فإذا أخلَّ بهذه الرتبة الدينية حتى تزحزح عنها ناسب أن يعاقب على ذلك، فإن ترك معاهدة القرآن يفضي إلى الرجوع إلى الجهل والرجوع إلى الجهل بعد العلم شديد. فتح الباري: ٩/ ٨٦ و١٢/ ٤٤٤.

(٢) تفسير الخازن: ١/ ٧ - وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده: ٦/ ١٠٩ - ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضائل القرآن وما يتعلق به: ١/ ٥٤٣.

وعن عبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: بئسَ ما لأحَدِهِم أن يقول نسيتُ آية كيتَ وكيتَ، بل هو نُسِّيَ، واستذكِروا القرآن فإنَّه أشَدُّ تَفَصِّياً من صُدُورِ الرجال من النَّعَم. وفي رواية: لا يقول أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو نُسِّي.(١)

وعن سعد بن عبادة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: ما من امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي اللَّه تعالى يوم القيامة أجذم.(٢)

وعن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه ﷺ قال: عُرِضَتْ عليَّ أجُورُ أُمَّتي حتى القَذَاةُ يُخرِجُهَا الرجل من المَسْجِدِ، وَعُرِضتْ عليَّ ذُنُوبُ أمَّتِي فلم أرَ فيها ذَنْباً أعظمَ من سُورَةٍ من القرآن، أو آيةٍ أوتِيَها رجُلٌ ثُمَّ نَسِيَها.(٣)

---

(١) تفسير الخازن: ١/ ٧ - وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده: ٦/ ١٠٩ - ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضائل القرآن وما يتعلق به: ١/ ٥٤٣ - وكذا الرواية الأخرى. وأورد ابن جزي شطره الأخير في تفسيره: ١/ ٢٤.

(٢) تفسير الخازن: ١/ ٧ - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: التشديد في حفظ القرآن: ٢/ ٧٥ - وأحمد في المسند: ٥/ ٢٨٤. والدارمي في السنن، كتاب: فضائل القرآن، باب: من تعلم القرآن ثم نسيه: (ح٣٣٤٣ - ٢/ ٣١٤)ط باكستان ١٤٠٤هـ.

(٣) تفسير الخازن: ١/ ٧ - وأخرجه أبو داود في سننه: ١/ ١٢٦ - والترمذي في سننه،=

وينبغي له أن يحمد اللَّه دائماً على ما وفقه إليه، فيذكره ويشكره، ويتوكل عليه ويستعين به، ويرغب إليه ويعتصم به، يخشى ذنبه، ويرجو عفو ربه، يراقب اللَّه فيما أمره ونهاه، ويحتاط لدينه.

كما ينبغي له أن يمتاز عن غيره بأخلاقه وأفعاله، فيكون له سمته الخاص، يقول ابن مسعود: ينبغي لقارئ القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مستيقظون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخضوعه إذا الناس يختالون[1]، وبحزنه إذا الناس يفرحون. وعليه بالحلم والوقار، وتجنب الكبر والإعجاب، وترك الجدل والمراء، والتصاون عن طُرق الشبهات، وأن يكون قليل الضحك والكلام في مجالس القرآن، كما عليه أن يكون سمحاً حليماً يعفو ويصفح، يؤمَنُ شرَّه، ويُرجى خيره، ويُسلَمُ من ضرِّه.

كما ينبغي له أن يفهم مراد اللَّه من كلامه، فينتفع بما يقرأ، ويعمل بما يتلو، يتدبر حقائق عبارته، ويتبين غرائبه، ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩] ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، فما أقبح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر

=كتاب: فضائل القرآن، باب: (١٩): ٥/ ١٧٩ وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(١) أخرجه الآجري في أخلاق أهل القرآن: ١٠٢ - وأحمد في الزهد: ١٦٢ - وأبو نعيم في الحلية: ١/ ١٢٩ وسند الرواية ضعيف لانقطاعه.

قلب وهو لا يفهم ما يتلوه! وما أقبح أن يُسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدريه! ولهذا فعليه أن يلم بشيء من علوم القرآن كالمكي والمدني والناسخ والمنسوخ، وغريب القرآن والأعاريب، وأن يكون مطلعاً على الحديث النبوي، وغير ذلك من العلوم التي تزيل الشك، وتساعد في فهم النص.

كما ينبغي له أن يعرف لشيوخه قدرهم، ويحفظ لهم مكانتهم، فيكون في غاية الأدب معهم، يقول فُضيل بن عياض[1]: كنا نأتي المشيخة فلا نرى أنفسنا أهلاً للجلوس معهم - أي مع الشيوخ - فنجلس دونهم ونسترق السمع[2].

المسألة الرابعة: آداب القرآن وآداب تاليه:

هذا باب عظيم أفرده ثلة من أهل العلم بتآليف مستقلة، وخصص له آخرون حيزاً من تآليفهم، فأوردوا مجموعة من تلك الآثار، كما فعل القرطبي في مقدمته. **وآداب القرآن وآداب تاليه أربعة أقسام:**

قسم يتعلق بالاستعداد للتلاوة.

---

(١) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، شيخ الإسلام، ثقه عالم، سمع الكثير وارتحل في طلب الحديث، أطال الذهبي في ترجمته وذكر أخباره، توفي (١٨٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٨/ ٤٢١ - والمعارف لابن قتيبة: ٥١١.

(٢) ما سبق ذكره مما يلزم قارئ القرآن، مأخوذ من تفسير القرطبي بتصرف: ١/ ١٨ - ٢٢.

وقسم يتعلق بالتلاوة نفسها.

وثالث هي آداب عامة أثناء التلاوة.

ورابع يتعلق بالآداب مع المصحف.

أما القسم الأول، فمن ذلك أن لا يمسه إلا طاهراً، وأن يستاك فيطيب فاه، قال يزيد بن مالك: إن أفواهكم طُرُق للقرآن فطهروها ونظِّفوها ما استطعتم. وأن يستعد للقراءة فيلبس من أحسن ثيابه، وأن يختار لقراءته مكاناً طيباً فيتجنب القراءة في الأسواق ومواطن اللغط واللّهو ومجمع السفهاء، قال تعالى في وصف عباد الرحمن ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾ [الفرقان: ٧٢] وأن يستقبل القبلة لقراءته، فقد كان أبو العالية[١] إذا قرأ اعتَمَّ وارتدى واستقبل القبلة[٢]، ومن ذلك أيضاً أن يستعيذ باللّه عند ابتدائه من الشيطان الرجيم ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٩]، ومنه أيضاً أن يختار لقراءته خلوة قدر طاقته حتى

---

(١) هو رُفَيع بن مهران، يكنى أبا العالية الرياحي، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين، وثقه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم، توفي (٩٠هـ). انظر: ميزان الاعتدال للذهبي: ٢/ ٥٤ - والتاريخ الكبير للبخاري: ٣/ ٣٢٦.

(٢) أخرج الطبراني عن أبي هريرة عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: إن لكل شيء سيداً وإن سيد المجالس قبالة القبلة. المعجم الأوسط: (ح٢٣٥٧ - ٣/ ١٨٢).

لا يقطع عليه أحد بكلام فيخلطه بجوابه.

وأما القسم الثاني فهو ما يتعلق بالتلاوة نفسها، ومن أهم ذلك أن يجعل لنفسه ورداً يومياً، فلا يخلو يوماً من أيامه دون النظر في المصحف، وقد كان أبو موسى يقول: إني لأستحي ألا أنظر كل يوم في عهد ربي[١].

ومن ذلك أن يقرأ البسملة إذا ابتدأ قراءته من أول السورة، أو من حيث بلغ، فإذا قرأ لم يقطعها بكلام الآدميين من غير ضرورة، وأن يستعمل في قراءته ذهنه وفهمه ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩] حتى ينتفع بما يتلو، ومن الآداب أن يقف على آية الوعد فيطلب اللَّه من فضله ويسأله، وعلى آية الوعيد فيستجير باللّه منه، وعلى الأمثال فيمتثلها، وأن يؤدي حق التلاوة، فيخرج الحروف واضحة من مخارجها، وأن يختار القراءة الصحيحة ولا يجادل في غيرها فقد تكون هي الأخرى صحيحة، وأن لا يلتقط الآي من كل سورة فيقرأها ويتنقّل بينها بل عليه أن يتم السورة كلها، كما يحسن للقارئ أن لا يحرم عينه من الأجر في النظر، فقد ورد عن رسول اللَّه ﷺ قوله: أعطوا أعينكم حظها من العبادة. قالوا: يا رسول اللَّه، وما حظها من العبادة؟ قال: النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه[٢].

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب: (ح٢٥٧ - ٢/ ٤٨٢) عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب عن أبي سعيد: (ح٢٥٤ - ٢/ ٤٧٨) وقال: إسناده ضعيف واللَّه أعلم - وأورده القرطبي في التذكار: ١٤ - والسيوطي في الجامع الضغير ورمز

ومن آداب التلاوة أن يتجنب القراءة منكوساً[١]. كما عليه أن يتجنب

لضعفه كما في الفيض القدير: ١/ ٥٦١ - وحكم الألباني بوضعه، انظر ضعيف الجامع الصغير: (ح١٠٤١ - ١/ ٢٩٩) - وقد اختلف العلماء في أيهما أفضل، القراءة في المصحف، أم القراءة عن ظهر قلب؟ فذهب النووي إلى أفضلية القراءة في المصحف لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة، فتجتمع القراءة والنظر، وهو رأي الغزالي وجماعات من السلف، فقد ثبت أن الصحابة كانوا يداومون على النظر في المصاحف.

وذهب العز بن عبد السلام إلى أفضلية القراءة عن ظهر قلب، قال: إن المقصود من القراءة التدبر، والعادة تشهد أن النظر في المصحف يخل بهذا المقصود فكان مرجوحاً.

وجمع الحليمي بين القولين فرأى أن يقرأ مرة من حفظه وأخرى من المصحف.

والذي يترجح لي هو القول الثالث فيختار مرة القراءة من المصحف ليشترك النظر في العبادة وليكون أبعد عن الرياء وأمكن للخشوع، ومرة من حفظه للتدبر والمحافظة على المحفوظ خشية الإفلات، والله أعلم. انظر: المنهاج في شعب الإيمان للحليمي: ٢/ ٢٣٣ - والبرهان للزركشي: ١/ ٤٦١ - وفتح الباري لابن حجر: ٩/ ٧٨ - وفيض القدير للمناوي: ١/ ٥٦١ و٦/ ١٥٠ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦٩٦ تحقيقي.

(١) أخرج عبد الرزاق والبيهقي وابن أبي شيبة والطبراني وأبو عبيد وابن أبي داود، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوساً؟ قال: ذاك منكوس القلب. المصنف لعبد الرزاق: (ح٧٩٤٧ - ٤/ ٣٢٣) - وشعب الإيمان للبيهقي: (ح٣٣٤ - ٢/ ٦٠٠) - والمصنف لابن أبي شيبة: ١٠/ ٥٦٤ - وفضائل القرآن لأبي عبيد: (ح١٣١ - ٥٧) - والمصاحف لابن أبي داود: ١٥١ - وقال الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٦٨: رواه الطبراني ورجاله ثقات. وذكره النووي في التبيان: ٦٩ وقال: إسناده صحيح - وقال السيوطي في الإتقان: ١/ ٣٠٨: إسناده جيد.

وقد اختلف في صفة القراءة المنكوسة، فقيل هو أن يبدأ من آخر السورة حتى يقرأها إلى أولها. ورده أبو عبيد وقال: وهذا شيء ما أحسب أن أحداً يطيقه، ولا كان هذا في=

والقراءة بألحان الغناء كلحون أهل الفسوق، وترجيع النصارى، ونوح الرهبانية[١]، وأن لا يجهر على الآخرين في قراءته فيفسد عليه[٢] وأن يفتتحه

=زمن عبد الله، ولكن وجهه عندي أن يبدأ من آخر القرآن ثم يرتفع إلى البقرة، كنحو ما يتعلم الصبيان في الكتاب، لأن السنة بخلاف هذا، وإنما جاءت الرخصة في تعليم الصبي والعجمي من المفصل لصعوبة السور الطوال عليهما.

قال: وإذا كرهنا هذا النكس فنحن للنكس من آخر السورة إلى أولها أشد كراهية إن كان ذلك يكون. غريب الحديث ٤/ ١٠٣ - وانظر النهاية في غريب الحديث (نكس) لابن الأثير: ٥/ ١١٥.

(١) عن حذيفة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الكتابين، وأهل الفسق، فإنه سيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح، لا يجاوز حناجرهم مفتونة قولبهم وقلوب من يعجبه شأنهم. أخرجه البيهقي في الشعب: (ح٦٤١ - ٣/ ١٠٧٨) - والمروزي في قيام الليل كما في المختصر: ١١٩ - وأبو عبيد في فضائل القرآن: (ح٢٣٢ - ٩٩) وابن الجوزي في العلل: ١/ ١١٨ وقال: هذا حديث لا يصح، وأبو محمد - من رجال السند - مجهول، وبقية - من رجال السند - يروي عن الضعفاء ويدلسهم.، وانظر التقريب لابن حجر: ١/ ١٠٥ - وقال الذهبي في الميزان: ١/ ٥٥٣: الخبر منكر.

وقد اختلف العلماء في التطريب في القراءة والترجيع فيها، فمنع من ذلك وأنكره مالك بن أنس، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير والنخعي وغيرهم، وكرهه أحمد بن حنبل، وأجاز ذلك طائفة منهم أبو حنيفة وأصحابه، والشافعي وأصحابه واختاره الطبري وابن العربي، وذهب القرطبي إلى ترجيح القول الأول، وقال: هو أصح.

وفصّل ابن القيم في ذلك، فقال: التطريب والتغني على وجهين:

أحدهما: ما اقتضته الطبيعة، وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين ولا تعليم، فذلك جائز. =

كلما ختمه، فقد ورد عن رسول اللَّه ﷺ أنه كان إذا ختم يقرأ من أول السورة قدر خمس آيات، وقال في ذلك: عليك بالحالِّ المرتحل، قيل: وما الحالُّ المرتحل؟ قال: صاحب القرآن يضرب من أوله حتى يبلغ آخره، ثم يضرب في أوله كلما حلَّ ارتحل[1].

=والثاني: ما كان من ذلك صناعة من الصنائع، وليس في الطبع السماحة به، بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرين، فهي التي كرهها السلف وعابوها وذموها، ومنعوا القراءة بها. زاد المعاد: ١/ ٤٩٢ - وانظر في ذلك الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٨٧٠ تحقيقي. والتذكار في أفضل الأذكار للقرطبي: ١٤٤ - ١٥٩.

(٢) أخرج أبو داود بسند صحيح عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه قال: اعتكف رسول اللَّه ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر وقال: ألا إن كلكم مناج ربه، فلا يؤذي بعضكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة. سنن أبي داود، كتاب: الصلاة، باب: رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل: (ح١٣٣٢ - ٢/ ٣٨) - ووردت آثار أخرى تبين أن الجهر أفضل، واختلف العلماء في حكم الجهر بالقراءة، والإسرار بها، فالإسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل، واختلف العلماء في حكم الجهر بالقراءة في حق من يخاف ذلك على نفسه، فإن لم يخف، ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصلٍّ آخر، فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر، ولأنه يوقظ القلب، ويطرد النوم، ويزيد في النشاط، وفي الحديث القدسي: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملأه. ورجح النووي في نوافل الليل القراءة بين الجهر والإسرار. انظر المسألة بالتفصيل في: إحياء علوم الدين للغزالي: ١/ ٢٧٩ - والتبيان للنووي: ٩٠ - والمجموع شرح المهذب له: ٢/ ١٦٦ - والإتقان للسيوطي: ١/ ٣٠٤ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٨٧٦ تحقيقي.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: القراءات، باب: (١٣): ٥/ ١٩٧ وقال:حديث حسن=

وأما **القسم الثالث** وهو آداب أثناء التلاوة نفسها، فمن ذلك أن يتمضمض إذا تنخع، فقد ورد عن ابن عباس أنه كان كلما تنخع مضمض. ومن ذلك أن يمسك عن القراءة إذا تثاءب، لكون التثاؤب من الشيطان، والقارئ إنما يناجي الرحمن، قال مجاهد: إذا تثاءبت وأنت تقرأ القرآن فأمسك عن القراءة تعظيماً حتى يذهب تثاؤبك، ومن الآداب إذا انتهى من التلاوة أن يصدِّق ربه، ويشهد بالبلاغ للرسول ﷺ، كأن يقول: صَدَقْتَ ربنا وبَلَّغَتْ رُسلُكَ، ومن الآداب أن يجمع أهله إذا أراد أن يختم وكان ذلك ديدن السلف كأنس بن مالك وغيره[1].

=غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، وإسناده ليس بالقوي.، وذكر من طريق آخر عن زرارة بن أوفى وقال: هذا عندي أقوى. - وأخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٥٦٨ وقال: تفرد به صالح المري، وهو من زهاد أهل البصرة إلا أن الشيخين لم يخرجاه. قال الذهبي في التلخيص: صالح المري: متروك. وله شاهد عند الحاكم أيضاً من حديث أبي هريرة مرفوعاً: ١/ ٥٦٩، وأخرجه البيهقي في الشعب: (ح٦٦ - ١٥٩) - وابن الجزري في النشر: ٢/ ٤٤٦ وقال: رواه الترمذي مرسلاً وقال: إنه أصح. قال: وقطع بصحته أبو محمد المكي، وسكت عليه البيهقي في الشعب فلم يذكر فيه ضعفاً كعادته، وضعفه أبو شامة من قبل صالح المري. وهو في الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٩٠٧ تحقيقي.

(١) أخرج الطبراني عن أنس رضي اللّه عنه: أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا. المعجم الكبير: (ح٦٧٤ ١/ ٢٤٢) قا ل الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٧٢: رجاله ثقات. - وأورده القرطبي في التذكار: ٩٦، والنووي في التبيان: ١٠٨ بسندين صحيحين. - وانظر الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٩٠١ تحقيقي.

ومن **القسم الرابع** وهي آداب مع المصحف، فمن ذلك أن يُجلِّلَ كتابته فيكتبها بخط واضح، وإذا وضع المصحف أن لا يتركه منشوراً، وأن لا يضع فوقه شيئاً من الكتب، علماً كان أو غير ذلك، وأن لا يتوسد ولا يعتمد عليه، ولا يُرمى به لصاحبه إذا أراد أن يناوله، وأن يضعه في حجره أو على شيء بين يديه، ولا يضعه على الأرض، ومن ذلك أن لا يمحوه ببصاق ونحوه، ولكن يغسله بالماء، ويتوقى النجاسات في الموضع، لكون الغسالة لها حرمة، ومن الآداب مع كلام اللَّه أن لا يكتب على الأرض خشية الاستهانة به.[1]

المسألة الخامسة: كيفية التلاوة لكتاب اللَّه:

وفيها ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أن يتلوه مجوداً مرتلاً ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[المزمل: ٤] يقتدي في قراءته قراءة رسول اللَّه ﷺ، وقد كان سلف الأمة يسألون عن قراءته ﷺ، روى البخاري عن قتادة قال: سألت أنساً عن قراءة رسول

---

(١) ينظر في آداب التلاوة تفسير القرطبي: ١/ ٢٧ - ٣٠ - ونوادر الأصول للحكيم الترمذي: ٣٣٥ - والتبيان للنووي: ٤٤ - والمنهاج للحليمي: ٢/ ٢٢٨ - والبرهان للزركشي: ١/ ٤٥٩ - والإتقان للسيوطي: ١/ ٣٢٤ - ٣٥١ - ومفتاح السعادة لطاش كبري: ٢/ ٤٠٣ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: ٣/ ٨٣٣ - ٩٠٩ بتحقيقي، وفيه ذكر أدلة كثيرة من الآداب التي ذكرت.

اللَّه ﷺ فقال: كان يَمُدُّ مَدًّا، إذا قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يمد ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، ويمد بـ﴿الرَّحْمن﴾، ويمد بـ﴿الرَّحِيم﴾.[١]

المطلب الثاني: أن يخفض صوته ويخشى اللَّه في قراءته، وأن يتجنب التطريب والنبر والقراءة بالألحان[٢]، أورد القرطبي عن زياد النُميري أنه جاء مع القراء إلى أنس بن مالك فقيل له: اقرأ. فرفع صوته وطرَّبَ. وكان رفيع الصوت. فكشف أنس عن وجهه، وكان على وجهه خرقة سوداء فقال: يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون! وكان إذا رأى شيئاً ينكره كشف الخرقة عن وجهه.[٣] وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: أحسن الناس صوتاً من إذا قرأ رأيته يخشى اللَّه تعالى[٤]. وقد كره رفع الصوت عند قراءة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: مد القراءة: ٦/ ١١٢.

(٢) انظر: الخلاف في مسألة القراءة بالألحان في الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٨٦٧ بتحقيقي.

(٣) تفسير القرطبي: ١/ ١٠.

(٤) أورده ابن عطية في تفسيره: ١/ ٢٣ - ذكر السيوطي في الجامع الصغير رواية قريبة منها، وقال المناوي: أخرجه ابن ماجه عن جابر، وقال الحافظ العراقي: وسنده ضعيف. وقد رواه البزار بسند - كما قال الحافظ الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، فحذفه - أي السيوطي - واقتصاره على المعلول من التقصير. فيض القدير: ١/ ١٩٠ والحديث صححه الألباني انظر: ضعيف الجامع الصغير: (ح١٣٧٤ - ٢/ ٢٦) وصحيح الجامع الصغير: (ح١٩٢ - ١/ ١١٥).

القرآن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والقاسم وابن سيرين والنَّخَعي وغيرهم. كما كره مالك بن أنس وأحمد بن حنبل رفع الصوت بالقرآن والتطريب فيه. وأجازت طائفة من الأئمة التطريب كأبي حنيفة وأصحابه والشافعي وابن المبارك وغيرهم، واختاره الطبري وابن العربي، لكونه أوقع في النفوس، وأسمع في القلوب، قال ﷺ: زينوا القرآن بأصواتكم.(١) وقال: ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن.(٢)

ورجح القرطبي القول بكراهة التطريب، وقال: إن الحديث من باب المقلوب، أي: زينوا أصواتكم بالقرآن. وليس منا من لم يحسِّن صوته بالقرآن. ونسب إلى الخطابي قوله: وكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث. ثم أورد التأويلات الواردة في معنى التغني بالقرآن، وبيَّن أقوال الأئمة في بيان ذلك.(٣)

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان: ٢/ ٦٤ - والبخاري تعليقاً في صحيحه: ٨/ ٢١٤ - وفي خلق أفعال العباد: ٨٣ - وأحمد في المسند: ٤/ ٢٨٣ - والنسائي في فضائل القرآن: ٩٤ - والدارمي في السنن: ٢/ ٣٤٠ - والحاكم في المستدرك: ١/ ٥٧١ - والبيهقي في الشعب: (ح١٧٨ - ١/ ٣٦٢) وانظر فتح الباري لابن حجر: ١٣/ ٥١٨.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه عن سعد بن أبي وقاص: ٢/ ٣٣٨ - وابن أبي شيبة في المصنف: ٢/ ٥٢٢ - والطيالسي في المسند: ٢٨ - والبيهقي في الشعب مطولاً: (ح١١٥ - ١/ ٢٤٩).

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ١٠ - ١٣.

المطلب الثالث: أن يتجنب التقعير في قراءته كفعل المتنطعين في إبراز الكلام من أفواههم تكلفاً.

المسألة السادسة: ذكر شيء من خواص القرآن[١]:

ذكر القرطبي أن من كتب القرآن وشربه وسمَّى اللَّه على كل نَفَس، وعظَّمَ النية، فإن اللَّه يؤتيه على قدر نيته[٢]. وعن أبي جعفر محمد بن علي: من وجد في نفسه قساوة فليكتب ﴿يس﴾ في جام بزعفران ثم يشربه.[٣]

---

(١) أفرد السيوطي لذكر خواص القرآن والاستشفاء بالآيات نوعاً خاصاً في الإتقان: ٢/ ١١٥٣، واقتصر فيه على ذكر ما ثبت عن رسول اللَّه ﷺ، أو عن أحد من صحابته أو ما ورد عن السلف في هذا الباب، وقال في أوله: أفرده بالتصنيف جماعة منهم التميمي وحجة الإسلام الغزالي، ومن المتأخرين اليافعي، وغالب ما يذكر في ذلك كان مستنده تجارب الصالحين.، كما أفرد له ابن عقيلة المكي - غفر اللَّه له - في الزيادة والإحسان: ٣/ ٩٤٧ نوعاً خاصاً وهو النوع الخامس والأربعون، سرد فيه غالب ما ذكره اليافعي والتميمي، مما يحظر ذكره حتى لو ثبت في تجارب الصالحين، فإحداث الشقاق، وزرع الفتن بين الناس، وما هو من هذا القبيل، واستخدام آيات اللَّه وكلامه في ذلك غير جائز شرعاً، فكيف يجعل القرآن لمثل هذه الأمور، ويسخر كلام الحكيم لمثل هذه البطالات، ولولا ما أجده من الحظر في ذكر شيء من تلك الأشياء لاستعرضت هنا أموراً ذكروها تقشعر منها الأبدان، ﴿تعالى اللَّه عما يقول الظالمون علواً كبيراً﴾.

(٢) تفسير القرطبي: ١/ ٣١.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٤٢٨ وقال: هي حكاية ينتفع بها. وسكت عنه الذهبي. وهو جزء من حديث طويل أخرجه البيهقي في الشعب وقال: كذا روي في هذه=

وروى ليث عن مجاهد قال: لا بأس أن تكتب القرآن ثم تسقيه المريض.

قال القرطبي: كان من قبلنا من السلف منهم من يستشفى بغسالته[1] - أي غسالة القرآن -.

=الحكاية، وكان إبراهيم يكره ذلك ولو صح الحديث لم يكن للكراهية معنى إلا أن في صحته نظر، والله أعلم. شعب الإيمان (ح٤٧٦ - ٢/ ٨٣٨) وهو في نوادر الأصول للحكيم الترمذي: ٣٣٥.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣١ - وانظر التبيان للنووي: ١١٣.

وقد اختلف العلماء في كتابة القرآن ثم غسله ويسقى المريض والمبتلى منه، فذهب الحسن البصري ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعي إلى جوازه وقالوا: لا بأس به. وكرهه النخعي، وقال القاضي حسين والبغوي وغيرهما من الشافعية إلى جواز كتابة القرآن على الحلوى وغيرها من الأطعمة ثم إطعامها للمريض ونحوه. انظر التبيان للنووي: ١١٣.

الموضوع السابع

المكي والمدني

تناول هذا الموضوع في مقدمة تفسيره القرطبي[١] وابن جزي[٢]، وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: في تعريف المكي والمدني:

عرَّف ابن جزي السور المكية بقوله: هي التي نزلت بمكة، يُعدُّ منها كل ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة.

وعرَّف السور المدنية بقوله: هي السور التي نزلت بالمدينة، ويُعَدُّ منها كل ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة.[٣]

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٢١ و١/ ٦١.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٨.

(٣) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٨.

قلت: اعتبر ابن جزي في تعريفه التعريف المكاني والزماني، وهو مشكل، إذ الصحيح المشهور اعتبار التعريف الزمني، فيقال: المكي ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن نزل بغير المدينة. وانظر في ذلك: البرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ١٨٧ - ولطائف الإشارات للقسطلاني: ١/ ٢٦ - ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ١٨٨.

المسألة الثانية: في سمات يُعرف بها المكي والمدني:

ذكر ابن جزي عدة سمات موضوعية تُعرَفُ بها السور المكية والمدينة:

أولاً: سمات السور المكية:

١- إثبات العقائد.

٢- الرد على المشركين.

٣- الاهتمام بذكر قصص الأنبياء السابقين.

ثانياً: سمات السور المدينة:

١- بيان الأحكام التشريعية.

٢- الرد على اليهود والنصارى.

٣- كشف المنافقين وذكرهم.

٤- بيان الفتاوى الشرعية في كثير من المسائل.

٥- ذكر غزوات النبي ﷺ.

قال: وحيث ما ورد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ فهو مدني، وأما ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فقد وقع في المكي والمدني.[1]

---

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٨ - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٢٢٥.

المسألة الثالثة: في أقسام سور القرآن باعتبار المكي والمدني:

تنقسم سور القرآن الكريم باعتبار المكي والمدني ثلاثة أقسام:

١- قسم مدني، وهي سبع وعشرون سورة على ما ذكره القرطبي نقلاً عن ابن الأنباري[1]، اتفق منها على اثنتان وعشرون سورة كما صرح

=ذكر أهل العلم للمكي والمدني سمات موضوعية وأسلوبية أخرى، فإضافة إلى ما ذكره المصنف ذكروا من السمات الموضوعية للقرآن المكي: إرساء دعائم الإيمان باللّه ووحدانيته بالدلائل العقلية، من خلال لفت الأنظار إلى المخلوقات المحيطة. بناء الشخصية الإسلامية المتميزة، والحض على التحلي بالخصال الحميدة. خلوه من أحكام المعاملات.

وذكروا من أساليب القرآن المكي: قصر الآيات والسور. قوة العبارة ورشاقة الألفاظ. وضرب الأمثال ووفرة التشخيص. صيغ الإنشاء من أمر ونهي واستفهام وتمن. وغير ذلك.

كما ذكروا من سمات القرآن المدني: دعوته أهل الكتاب إلى الإسلام، والرد التفصيلي على انحرافاتهم وتحريف ما في كتبهم. أما من ناحية الأسلوب فقد امتاز القرآن المدني بطول أكثر السور والآيات، والأسلوب الهادىء والعبارات اللينة تمشياً مع طبيعة المرحلة. إضافة إلى طول الفاصلة. انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٣٣٨ حاشية رقم (٢) - ودراسات في التفسير الموضوعي للدكتور زاهر الألمعي: ٥٣ - والقرآن الكريم والدراسات الأدبية الدكتور العتر: ٦٨.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦١ - وهو ما رواه ابن سعد عن ابن عباس عن أُبي بن كعب - رضي اللّه عنهم - وهي عند عبد الواحد بن شيطا: تسع وعشرون سورة. وبمثله قال الزركشي في البرهان. وقال ابن عقيلة: هو ما استقرت عليه الروايات. انظر:=

به ابن جزي[١].

٢- قسم مختلف فيه، هل هي مكية أم مدينة، فأفاد ابن جزي أنها ثلاث عشرة سورة.[٢] ولم يذكر القرطبي الاختلاف في شيء.

٣- وقسم مكي، وهي سائر السور المتبقية وهي عند القرطبي سبع وثمانون سورة[٣]، وعند ابن جزي تسع وسبعون سورة[٤].

أما المدني المتفق عليه فهي: ﴿البقرة﴾ و﴿آل عمران﴾ و﴿النِّسَاء﴾ و﴿المائدة﴾ و﴿الأنفال﴾ و﴿بَرَاءةٌ﴾ و﴿النُّور﴾ و﴿الأَحْزَابُ﴾ و﴿الْقِتَالُ﴾

=طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٧١ - وفنون الأفنان لابن الجوزي: ٣٧٧ - والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ١٩٤ - والإتقان للسيوطي: ١/ ٢٨ط أبو الفضل - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٢٦٤ تحقيقي.

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٨ - وصرح ابن الحصار أن المتفق عليه عشرون سورة. انظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ٢٨ط أبو الفضل.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٨ - وهي عند ابن الحصار اثنتا عشرة سورة. وأفاد السيوطي أن المختلف فيه إحدى وثلاثون سورة. الإتقان للسيوطي: ١/ ٢٨ط أبو الفضل.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦١.

(٤) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٨.

وهي عند ابن شيطا خمس وثمانون سورة، وعند أبي الحسن بن الحصار اثنان وثمانون، قال ابن عقيلة: وهو ما استقرت عليه الروايات. انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٣٣٧ - والبرهان للزركشي: ١/ ١٩٤ والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٢٦٤ تحقيقي.

و﴿الْفَتْحُ﴾ و﴿الحجرات﴾ و﴿الْحَدِيد﴾ و﴿المجادلة﴾ و﴿الحشر﴾ و﴿الممتحنة﴾ و﴿الصف﴾ و﴿الجمعة﴾ و﴿الْمُنَافِقُونَ﴾ و﴿التغابن﴾ و﴿الطَّلاقَ﴾ و﴿التحريم﴾ و﴿النَّصْرُ﴾.

وأما المختلف فيه فهي: ﴿أم القرآن﴾ و﴿الرعد﴾ و﴿النحل﴾ و﴿الْحَجَّ﴾ و﴿الرَّحْمن﴾ و﴿الإنسَانُ﴾ و﴿المطففون﴾ و﴿القدر﴾ و﴿البينة﴾ و﴿الزلزلة﴾ و﴿أَرَأَيْتَ﴾ و﴿الإخلاص﴾ و﴿الفلق﴾ و﴿النَّاس﴾.

وأما المكي المتفق عليه فهي سائر السور المتبقية.(١)

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦١ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٨.

قال ابن عقيلة: وإذا تأملت حقيقة هذا الخلاف وجدته في أكثر السور لفظياً، لأن من يقول: السورة مكية - مثلاً - فإما أن يكون لكونه علم أن بعض آيات منها نزلت بمكة فيحكم على السورة أنها مكية، وكذا من يقول: إنها مدنية، أو يكون يرى أن المكي ما نزل بمكة قبل الهجرة أو بعدها، والمخالف لا يرى المكي إلا ما نزل قبل الهجرة، فيرجع الخلاف في الغالب إلى اللفظي. الزيادة والإحسان: ١/ ٢٧٧ تحقيقي. قلت: بل الخلاف راجع إلى اختلاف في المصطلح، بالاعتبار الزماني والمكاني.

ويرجع الباقلاني في الانتصار الخلاف إلى كون رسول الله ﷺ لم يبين لصحابته المكي من المدني في قول أو نص، وإن كان الصحابة رضوان الله عليهم حريصين على معرفة كل ما يتعلق بالتنزيل، والإحاطة به، لما للقرآن من مكانة في نفوسهم.

قال الباقلاني: وإنما عدل رسول الله ﷺ عن ذلك لأنه مما لم يؤمر به، ولم يجعل الله تعالى علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم من معرفة=

قال ابن جزي: وقد وقعت آيات مدينة في سور مكية، كما وقعت آيات مكية في سور مدنية، وذلك قليل، مختلف في أكثره.(١)

المسألة الرابعة: في بيان أهمية معرفة المكي والمدني:

أشار القرطبي إلى أهمية معرفة المكي والمدني بالنسبة للمفسر الذي يقدم على فهم كتاب اللَّه وتفسيره، فقال:

وينبغي أن يعرف المكي من المدني ليفرِّق بذلك بين ما خاطب اللَّه به عباده في أول الإسلام، وما ندبهم إليه في آخر الإسلام، وما افترض اللَّه في أول الإسلام، وما زاد عليه من الفرائض في آخره.

ثم ذكر أن المدني يمكن أن يكون ناسخاً للمكي، ولا يمكن أن يكون المكي ناسخاً للمدني، لأن المنسوخ هو المتقدم في النزول.(٢)

=الناسخ والمنسوخ، ليعرف الحكم الذي ضمنها... إلى أن قال: وإن كان ذلك كذلك ساغ أن يختلفوا في بعض القرآن هل هو مكي أو مدني، وأن يعملوا في القول بذلك ضرباً من الرأي والاجتهاد، وإن كان الاختلاف زائلاً عنهم في جله وكبره. انظر: الانتصار لصحة نقل القرآن للباقلاني: (و١٤٢) مخطوط. وانظر الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ١/ ٢٧٧ حاشية (٤) تحقيقي.

(١) تفسير ابن جزي: ١/ ٨.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٢١ - وانظر البرهان للزركشي: ١/ ١٨٧ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ١/ ٢٦٢ تحقيقي.

وعلة تقديم بعض السور المدنية على المكية هو أن اللَّه تعالى خاطب العرب بلغتهم وعلى ما تعرف من أفانين خطابها ومحاوراتها، ولَمَّا كان من فن كلامها تقديم المؤخر وتأخير المقدَّم، خوطبوا بهذا المعنى في كتاب اللَّه تعالى، فأُقيمت عليهم الحجة بذلك.[1] واللَّه أعلم.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٢ - ويبقى ما ذكره المصنف احتمال وارد، ولم أقف على قول لأحد من العلماء في ذلك. فاللّه أعلم بما قال.

obeikandl.com

الموضوع الثامن

التفسير والتأويل

بحث هذا الموضوع في مقدمة تفسيره البغوي[١]، وابن الجوزي[٢]، والخازن[٣]، وابن جزي[٤]، وأبو حيان[٥].

والتفسير قيل مأخوذ من (التَفْسِرَة)، وهي الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض، قال البغوي: فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها.[٦]

قال أبو حيان: والتفسير في اللغة: الاستبانة والكشف، قال ابن دريد:[٧] ومنه يقال للماء الذي ينظر فيه الطبيب (تَفْسِرَة)[٨]، وكأنه تسمية

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٤٦.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٤.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ١٤.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ١١.

(٥) انظر: تفسيره: ١/ ٢٦.

(٦) انظر: تفسير البغوي: ١/ ٤٦ - والخازن: ١/ ١٤.

(٧) انظر: جمهرة اللغة: ٢/ ٣٣٤ط المثنى بغداد - وفي اللسان: الفسر: البيان. فسر الشيء يفسِّرُه- بالكسر والضم - فسراً، وفسَّره: أبانه، والتفسير مثله. قال: والفسر كشف المغطّى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل. اللسان (فسر): ٥/ ٥٥٥.

(٨) المراد بالماء هنا: بول الإنسان، قال الخليل: التفسيرة اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء،=

بالمصدر؛ لأن مصدر (فَعَّلَ) جاء أيضاً على (تَفْعِلَة) نحو: (جَرَّبَ تَجْرِبَة) و(كَرَّمَ تَكْرِمَة)، وإن كان القياس في الصحيح من (فعَّل) التفعيل، كقوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ [الفرقان: ٣٣].

قال: وينطلق أيضاً التفسير على التعرية للإنطلاق، قال ثعلب: تقول: (فَسَّرْت الفرس: عَرَّيْتُه لينطلق في حصره[١]. وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري.[٢]

وأما في الاصطلاح، فقد صرح أبو حيان المتوفى (٧٤٥هـ) بأنه لم يقف لأحد من علماء التفسير على رسم - أي تعريف - له.[٣]

وبالرجوع إلى المقدمات وجدت البغوي يعرف التفسير بقوله: هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها، ويكون بالسماع عن طريق النقل.[٤] ووجدت ابن جزي يعرفه فيقول: شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه. فيرجح أن التفسير هو الشرح[٥]، أي: شرح المفردات والألفاظ الغريبة.[٦]

=يستدل به على مرض البدن. العين: ٧/ ٢٤٨.

(١) الحصر: شد الفرس بالحصار، وهو ما يوضع على ظهره. انظر: جمهرة اللغة: ٢/ ١٣٤.

(٢) (٣) انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان: ١/ ٢٦.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ١/ ٤٦ - والخازن: ١/ ١٤.

(٥) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١١.

(٦) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٤.

والتعريف الذي وضعه أبو حيان أشمل وأكمل حين قال - رحمه اللَّه-: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن،ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك.

ثم شرح مفردات التعريف فقال:

فقولنا: (علم) هو جنس يشمل سائر العلوم.

وقولنا: (يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن) هذا هو علم القراءات.

وقولنا: (ومدلولاتها) أي: مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم.

وقولنا: (وأحكامها الإفرادية والتركيبية) هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع.

(ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب) شمل بقوله التي تحمل عليها ما لا دلالة عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب يقتضي بظاهره شيئاً، ويصد عن الحمل الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر، وهو المجاز.

وقولنا: (وتتمات لذلك) هو معرفة الناسخ والمنسوخ وسبب النزول،

وقصة توضيح بعض ما أنبهم في القرآن ونحو ذلك.[١]

وأما التأويل، فمشتق من (الأوَل) وهو الرجوع إلى الأصل، يقال: أوَّلته فآل: أي صرفته فانصرف.[٢] فهو رد الشيء إلى الغاية.

وفي الاصطلاح: التأويل: نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته

---

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان: ١/ ٢٦ - والإتقان للسيوطي: ٢/ ١١٩١ط البغا.

قلت: ذكر أهل العلم للتفسير عدة تعريفات، فعرفه الزركشي في البرهان: ١/ ١٣ بقوله: التفسير علم يعرف به فهم كتاب اللّه المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ. - وعرفه الكافيجي في التيسير في قواعد علم التفسير: ١٢٤ تعريفاً مختصراً، فقال: هو كشف معاني القرآن، وبيان المراد. وهو تعريف جيد غير أن ما ذكره لاحقاً أدق وأجدى، قال: هو علم يبحث فيه عن أحوال كلام اللّه المجيد من حيث أنه يدل على المراد بقدر الطاقة البشرية التيسر: ١٥٠. قال الزرقاني: ومن السهل رجوعه إلى التعريف الأول - وهو تعريف أبي حيان السابق - لأن ما ذكر هناك بالتفصيل يعتبر بياناً لمراد اللّه من كلامه بقدر الطاقة البشرية. مناهل العرفان: ٢/ ٣.

وعرفه شيخنا مناع القطان - حفظه اللّه -بقوله: التفسير بيان كلام اللّه، المتعبد بتلاوته، المنزل على محمد ﷺ. انظر: مذكرة في علوم القرآن مقررة على السنة المنهجية في الكلية له: ص٣٤.

(٢) تفسير البغوي: ١/ ٤٦ - وابن الجوزي: ١/ ٤ - والخازن: ١/ ١٤ - قال في اللسان ١١/ ٣٢: الأوَل: الرجوع، آل الشيء يؤول أوَلاً ومآلاً: رجع، وأوّل الكلام تأوله: دبّره وقدّره، وأوّله وتأوّله: فسّره.

إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ.[١]

وقيل: التأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية.[٢]

الفرق بين التفسير والتأويل: اختلف العلماء هل التفسير والتأويل بمعنى واحد، أم يختلفان؟.

فذهب قوم يميلون إلى العربية إلى أنهما بمعنى واحد، قال ابن الجوزي:

---

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٤ - وانظر: الخازن: ١/ ٦ - وهو في اللسان: ١١/ ٣٢.

(٢) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٤.

وقد أفاد شيخ الإسلام ابن تيمية أن للتأويل ثلاثة معان:

أحدها: التأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين - من أهل الكلام - هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، بدليل يقترن بذلك، فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلاً على اصطلاح هؤلاء.

الثاني: أن التأويل هو تفسير الكلام، سواء وافق الظاهر أو لم يوافقه، وهذا هو التأويل في اصطلاح المفسرين وغيرهم.

الثالث: أن التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها وإن وافقت ظاهره، فتأويل ما أخبر الله به في الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح... هو الحقائق الموجودة أنفسها لا ما يتصور من معانيها في الأذهان، ويعبر عنه باللسان. انظر: مجموع الفتاوى: ٥/ ٣٥.

وهو قول جمهور المفسرين المتقدمين.[١]

وذهب قوم إلى اختلافهما:

فعن الخازن: أن التفسير يتوقف على النقل المسموع، وهو ظاهر قول البغوي، والتأويل: يتوقف على الفهم الصحيح.[٢]

وعن ابن جزي أن للعلماء في الفرق بين التفسير والتأويل ثلاثة أقوال:

الأول: أنهما بمعنى واحد.

الثاني: أن التفسير للفظ، والتأويل للمعاني[٣].

الثالث: وهو الصواب: أن التفسير هو الشرح، والتأويل هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره[٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٤.

(٢) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٤ - وتفسير البغوي: ١/ ٤٦.

(٣) وهو رأي الراغب، انظر: مفرداته: ٣٨٠.

(٤) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١١.

والذي يترجح عندي أن التفسير والتأويل بمعنى واحد في اصطلاح المفسرين، =

=قال تعالى:﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ [الأعراف: ٥٣] أي ينتظرون إلا بيانه الـذي هـو المراد منه.= وقد دعا رسول اللّه ﷺ لابن عباس فقـال: اللّهـم فَقِّهْـهُ في الديـن وعلّمـه التأويل. وكان مجاهد يقول: العلماء يعلمون تأويله، أي: تفسيره. قال ابن عاشور: اللغـة والآثار تشهد له. وهو القول الذي ذُكِرَ عن أهل العربية، والذي قال به جمهور المفسـرين المتقدمين، فالقائلون به هم من فرسان اللغة وأسـاطينها، كثعلـب وابـن الأعرابـي وأبـو عبيدة وابن جرير والزمخشري، وهو ظاهر كلام الراغب، فهم الأعلم بلغة العرب. ثم إن العناوين التي أطلقها المتقدمون على تفاسيرهم توحي بأنهم لم يميزوا بين ذلك، فقد عنون ابن جرير تفسيره بـ(جامع البيان عن تأويل آي القرآن) والزمخشري أطلق علـى تفسـيره (الكشاف عـن حقـائق التـنزيل وعيـون الأقـاويل ووجـوه التـأويل)، وكـذا البيضـاوي وغيرهم. ولا شك أنهم لم يقصدوا من ذلك التـأويل فقـط، بـل إن كتبهـم هـي تفاسـير للتنزيل الحكيم.

وقد جمع الشيخ حامد العمادي مفتي دمشق رسالة لطيفة في الفرق بين التفسير والتـأويل سماها (رسالة التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل) سنة ست وثلاثين ومائة وألف، ذكر فيها أربعة عشر قولاً في الفرق. وقد علمت أن فضيلة الدكتـور فهـد الرومـي يقـوم بتحقيقها، وفقه اللّه في ذلك.

وفي معنى التفسير والتأويل يراجع: التيسير في قواعد علـم التفسـير للكـافيجي: ١٢٣ - والإتقان في علـوم القـرآن للسـيوطي: ٢/ ١١٨٩ - والتحريـر والتنويـر لابـن عاشـور: ١/ ١٠ - ١٧ - ومناهل العرفان للزرقاني: ٢/ ٤ - وأصول التفسـير وقواعـده للعـك: ٥٢ - ومدخل إلى علوم القرآن والتفسير لفارق حمـادة: ٢١٢ - وعلـوم القـرآن لعدنـان زرزور: ٤٠٣ وغيرهم.

الموضوع التاسع

بيان شرف التفسير والحاجة إليه

بحث هذا الموضوع في مقدمة تفسيره ابن جرير الطبري[١]، وأبو الليث السمرقندي[٢]، والواحدي[٣]، وابن عطية[٤]، وابن الجوزي[٥]، والقرطبي[٦]، وابن جزي[٧]، وأبو حيان[٨]، وابن كثير[٩].

لقد أجمع المفسرون على أهمية علم التفسير وعظيم شرفه والحاجة إليه، وأنه من أشرف أنواع العلوم وأجلها، وأنه إنما حاز هذا الشرف لأمور منها:

١) أن شرف العلم متعلق بشرف المعلوم، والمعلوم هنا كتاب اللَّه الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، فلما كان كلام اللَّه أشرف المعلومات، كان العلم بتفسيره وأسباب تنزيله ومعانيه أشرف العلوم.

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٦ و١/ ٨٠.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٢٠١.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ٤٥.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ٢٧ و١/ ٨.

(٥) انظر: تفسيره: ١/ ٤.

(٦) انظر: تفسيره: ١/ ٢٦.

(٧) انظر: تفسيره: ١/ ٤.

(٨) انظر: تفسيره: ١/ ٩ و١/ ٢٥.

(٩) انظر: تفسيره: ١/ ١٢.

obeikandl.com

٢) أنه من أعظم العلوم تقرباً إلى اللَّه، وتخليصاً للنيات، ونهياً عن الباطل، وحضاً على الصالحات، إذ ليس من علوم الدنيا فيختِلُ[١] حاملُه من منازلها صيداً، ويمشي في التلطف لها رويداً.[٢]

يقول ابن جرير: اعملوا عباد اللَّه، رحمكم اللَّه، أن أحق ما صُرِفت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية، ما كان في العلم به رضى، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، وأن أجمع ذلك لباغيه كتابُ اللَّه الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مِرية فيه، الفائز بجزيل الذخر، وسنَّى الأجر تاليه.[٣]

٣) أنه العلم الذي جُعل للشرع قواماً، فهو المقصود بذاته، وسائر العلوم والمعارف إنما استعملت له خُداماً، فهي له كالأدوات، منه تؤخذ مبادئها، وبه تعتبر نواشِئُها، فما وافقه منها نَصع، وما خالفه رُفِضَ ودُفِع، فهو عنصرها النمير، وقمرها المنير، به تعرف أحكام الأنام، وبيان الحلال والحرام، والمواعظ النافعة، والحجج البالغة.

أخرج الطبري وأبو الليث السمرقندي بسندهما في تفسيرهما عن علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - أنه قال في خطبته: يا أيها الناس، قد

---

(١) الختل: هو الخدع. معجم مقاييس اللغة (ختل): ٢/ ٢٤٥.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٧.

بيَّن اللَّه لكم في محكم كتابه ما أحل لكم، وما حرم عليكم، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، وآمنوا بمتشابهه، واعملوا بمحكمه، واعتبروا بأمثاله[١].

قال السمرقندي: فلما أمر النبي ﷺ بأن يحل حلاله ويحرم حرامه، ثم لا يمكن أن يحل حلاله، ويحرم حرامه إلا بعدما يعلم تفسيره، ولأن اللَّه تعالى أنزل القرآن للناس، وجعله حجة على جميع الخلق بقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] فلما كان القرآن حجة على العرب والعجم، ثم لا يكون حجة عليهم إلا بعدما يعلم تفسيره فدل ذلك على أن طلب تفسيره وتأويله واجب.[٢]

وهو واجب على العلماء خاصة، الذين اجتباهم اللَّه واصطفاهم، والذين هم ورثة الأنبياء[٣] وخلفاؤهم، وسادة المسلمين وعرفاؤهم، والدعاة إلى المحجة المثلى ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال أبو العالية: الحكمة: فهم القرآن.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٦٨ - تفسير السمرقندي: ١/ ٢٠٦ - قال ابن حجر في الفتح: ٩/ ٢٦: قال ابن عبد البر: هذا حديث لا يثبت لأنه من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود، ولم يلق ابن مسعود.

(٢) انظر: تفسير السمرقندي: ١/ ٢٠٧.

(٣) الحديث أخرجه الواحدي بسنده عن البراء بن عازب. تفسير الواحدي: ١/ ٤٥ - وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: العلم قبل العمل: ١/ ٢٣.

وقال قتادة: الحكمة، القرآن والفقه فيه.

وقال غيره: الحكمة تفسير القرآن.(١)

قال إياس بن معاوية: مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون من تفسيره، كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح، فتداخلهم روعة لا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف تفسيره كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب.(٢)

ووصف علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - جابر بن عبد اللَّه بالعلم، فقال رجل: جعلتُ فداءك، تصف جابراً بالعلم وأنت أنت؟ فقال: إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥](٣).

ولهذه المزية ولغيرها حرص أصحاب رسول اللَّه ﷺ على التفقه في الدين، وتعلم التفسير، روى الطبري بسنده عن ابن مسعود أنه قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٢٧ والقول الأخير هو لابن عباس. انظر: الإتقان للسيوطي: ٢/ ١١٩٤.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٢٧ - وابن الجوزي: ١/ ٤ - والقرطبي: ١/ ٢٦.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٢٧ - والقرطبي: ١/ ٢٦ - وأبي حيان: ١/ ٢٥.

والعمل بهن.[١]

ورحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية فقيل له: إن الذي كان يفسرها رحل إلى الشام، فتجهز ورحل إليه حتى علم تفسيرها.[٢]

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٨٠ قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وهو موقوف على ابن مسعود، ولكنه مرفوع المعنى. - وانظر: تفسير السمرقندي عن عبد الرحمن السلمي بنحوه: ١/ ٢٠٥ - وابن الجوزي: ١/ ٤.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٢٧ - والقرطبي: ١/ ٢٦ - وأبا حيان: ١/ ٢٥.

وقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى أساليبهم، وأمروا بتدبر المنزل عليهم، للعمل بما فيه، فكانوا يفهمونه وقد يعجزون عن فهم نصوص منه فيسألون رسول اللّه ﷺ عن ذلك فيبين لهم بمقتضى أمر اللّه تعالى، وكان من أهم وآكد الحاجات للمسلمين فهم كلام اللّه تعالى، للتذكير والاعتبار، ولمعرفة هداية اللّه في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، فكان العلم بتفسير كتاب اللّه واجباً، كوجوب سائر العلوم الإسلامية، وكان فرض كفاية. ومن هذا الباب انطلق المسلمون لتحصيل المراتب العليا في فهم نصوص الشرع ومخاطباته.

وقد لقي هذا العلم العناية لشرف المعلوم أولاً - كما سبق بيانه - ولأن غايته الاعتصام بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، وهما أشرف الغايات وأجداها.

يقول الأصفهاني: صناعة التفسير حازت الشرف من ثلاث جهات:

- من جهة الموضوع: لأن موضوعه كلام اللّه وهو ينبوع كل حكمة.

- ومن جهة الغرض: فغرضه الاعتصام بالعروة الوثقى.

- ومن جهة شدة الحاجة: فكل كمال ديني أو دنيوي، عاجل أو آجل، مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب اللّه. =

الموضوع العاشر

أوجه التفسير وطرقه وأنواعه

يعد هذا الموضوع من أكثر الموضوعات التي اهتم بها المفسرون، وتناولوها في مقدماتهم، فقد بحثه جميع[1] من شملتهم هذه الدراسة عدا ابن

=انظر: التيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي: ١٥١ و١٥٨ - والإتقان للسيوطي: ٢/ ١١٩٥ - ومناهل العرفان للزرقاني: ٢/ ٩.

وقد لقي هذا العلم العناية لشرف المعلوم أولاً - كما سبق بيانه - ولأن غايته الاعتصام بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، وهما أشرف الغايات وأجداها.

يقول الأصفهاني: صناعة التفسير حازت الشرف من ثلاث جهات: -

- من جهة الموضوع: لأن موضوعه كلام الله وهو ينبوع كل حكمة.

- ومن جهة الغرض: فغرضه الاعتصام بالعروة الوثقى.

- ومن جهة شدة الحاجة: فكل كمال ديني أو دنيوي، عاجل أو آجل، مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله.

انظر: التيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي: ١٥١ و١٥٨ - والإتقان للسيوطي: ٢/ ١١٩٥ - ومناهل العرفان للزرقاني: ٢/ ٩.

(١) انظر: تفسير عبد الرزاق: ١/ ٥٩ - والطبري: ١/ ٧٣ و٧٧ و٨٠ و٨٢ و٨٤ و٩٢ - والسمرقندي: ١/ ٢٠٨ - والماوردي: ١/ ٣٣ و٣٦ - والواحدي: ١/ ٤٧ - والبغوي: ١/ ٤٥ - وابن عطية: ١/ ٢٨ - والقرطبي: ١/ ٣١ و٣٣ و٣٧ - والخازن: ١/ ٦ - وابن جزي: ١/ ١٠ و١٣ و١٦ و٢١ - وأبا حيان: ١/ ١٠ و١٣ و١٧ و١٩ و٢٥ - وابن كثير: ١/ ١٢ و١٨.

الجوزي، وقد تفاوتت اهتماماتهم بذكر تفاصيله، فكانوا بين مقتصد مقتصر على الرواية، ومسهب تناول أكثر من جزئية، وفي هذا الموضوع عدة مسائل:

المسألة الأولى: أوجه التفسير:

ندب اللَّه سبحانه عباده إلى تدبُّر كلامه، واستخراج المعاني من فحوى ألفاظه وشواهد خطابه، وبيَّن أن من كلامه ما لا يعلم تأويله إلا هو، حيث استأثر بعلم ذلك كالخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وأن منه ما لا يعلم تأويله إلا ببيان رسوله ﷺ ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، ومن هذا الوجه تأويل وجوه أمره، وصنوف نهيه، ومبالغ فرائضه، وغير ذلك من أحكام آيه التي لا يوصل إليها إلا ببيانه ﷺ له، إما بنص منه ﷺ عليه، أو بدلالة قد نصبها أمَّته على تأويله.

وأن منه ما يعلم تأويله العلماء العالمون باللسان الذي نزل به القرآن

﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].(١)

وقد ورد الأثر في ذلك، فقد روى عبد الرزاق وابن جرير بسندهما عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - أنه قال: تفسير القرآن على أربعة وجوه: تفسير يعلمه العلماء، وتفسير يعرفه العرب، وتفسير لا يُعْذَر أحد بجهالته، مقول من الحلال والحرام، وتفسير لا يعلم تأويله إلا اللَّه، من ادَّعى علمه فهو كاذب.(٢)

ورواه الطبري بلفظ آخر عن ابن عباس فقال: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعْذَر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا اللَّه.(٣)

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٧٣.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٥٩ - وابن جرير في تفسيره: ١/ ٧٥ وقال: في إسناده نظر. وأورده ابن كثير في تفسيره: ١/ ١٨ وقال: والنظر الذي أشار إليه في إسناده هو من جهة محمد بن السائب؛ فإنه متروك الحديث؛ لكن قد يكون إنما وهم في رفعه، ولعله من كلام ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٧٥ - وأورده الماوردي: ١/ ٣٦ - وابن كثير: ١/ ١٨.

فالوجه الذي تعرفه العرب بكلامها: هي حقائق اللغة وموضوع كلامهم.

والذي لا يعذر أحد بجهالته: هو ما يلزم كافَّةَ المسلمين في القرآن من الشرائع، وجملة دلائل التوحيد.

وأما الذي يعلمه العلماء: فهو وجوه تأويل المتشابه وفروع الأحكام.

وأما الذي لا يعلمه إلا اللَّه: فهو ما يجري مجرى الغيوب وقيام الساعة.(١)

ولم يعتبر الطبري الوجه الثاني - مالا يعذر أحد بجهالته - وجهاً، بل قال: إنه معنى غيرُ الإبانة عن وجُوه مَطالب تأويله، فهو خبر عن أن من تأويله ما لا يجوز لأحد الجهل به.(٢)

وقد صحح الماوردي تقسيم ابن عباس - رضي اللَّه عنهما العاشرة غير أنه رأى أن ما لا يعذر أحد بجهالته، داخل في جملة ما يعلمه العلماء، وإنما يختلف القسمان في فرض العلم به، فما لا يعذر أحد بجهله يكون فرض العين به على الأعيان، وما يختص بالعلماء يكون فرض العلم به

---

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٧٥.

على الكفاية.[١] وعليه صار التقسيم إلى ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: ما اختص اللَّه تعالى بعلمه: وهذا لا يؤخذ إلا عن توقيف من أحد ثلاثة أوجه:

- إما من نصٍّ في سياق التنزيل.

- وإما عن بيان من جهة الرسول ﷺ.

- وإما عن إجماع الأمة على ما اتفقوا عليه من تأويل.

قال الماوردي: فإن لم يرد فيه توقيف علمنا أن اللَّه تعالى أراد لمصلحة استأثر بها، ألا يطْلِعَ عباده على غيبه.

الوجه الثاني: ما يرجع فيه إلى لسان العرب: وذلك شيئان:

الأول: اللغة، يكون العمل به في حق المفسر دون القارئ، فإن كان الأمر لا يوجب العمل، جاز الاستشهاد بخبر الواحد وقليل الشعر، وإن كان الأمر يوجب العمل لم يجز ذلك حتى يكون نقله مستفيضاً، وشواهد الشعر فيه متناصرة.

الثاني: الإعراب، فإن كان اختلافه موجباً لاختلاف حكمه، وتغيير تأويله لزم العمل به في حق المفسر وحق القارئ، ليتوصل المفسر إلى معرفة

---

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٦.

حكمه، ويَسْلَمَ القارئ من لَحْنِهِ.

وإن كان اختلاف إعرابه لا يوجب اختلاف حكمه، ولا يقتضي تغيير تأويله، كان العلم بإعرابه لازماً في حق القارئ ليسْلَم من اللَّحن في تلاوته، ولم يلزم في حق المفسر لوصوله - مع الجهل بإعرابه - إلى معرفة حكمه.

الوجه الثالث: ما يرجع فيه إلى اجتهاد العلماء: وهو تأويل المتشابه واستنباط الأحكام، وبيان المجمل، وتخصيص العموم وغير ذلك.[1]

المسألة الثانية: طرق التفسير:

للتفسير طريقان الأول: التفسير بالأثر (الرواية).

والثاني: التفسير بالرأي (الدراية).

أولاً: التفسير بالأثر (الرواية):

المقصود من التفسير بالأثر، تفسير القرآن بالقرآن، وبما نُقل عن الرسول ﷺ، أي بالسُّنة، وبأقوال الصحابة وما ثبت عنهم، وبأقوال التابعين.

وأصح هذه الطرق تفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد

---

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٦ - ٣٨ - وبنحوه قال الطبري من قبله، انظر في تفسيره: ١/ ٩٢ - وانظر البرهان للزركشي: ٢/ ١٦٤.

فُسِّرَ في موضع آخر، وما اختصر في مكان فإنه بسط في آخر.

فإن لم يجد فالسُّنة، فهي شارحة للقرآن وموضحة له، وقد جعل اللَّه تعالى إلى رسوله ﷺ بيان ما كان منه مجملاً كالصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها، وتفسير ما كان منه مشكلاً، وتحقيق ما كان منه محتملاً، كما جعل له زيادة على حكم الكتاب، كتحريم المرأة على خالتها وعمتها، وكتحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع وغير ذلك، ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص بهن ومنزلة التفويض إليه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤][1] وقال: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤] وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلا تَكُن لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ [النساء: ١٠٥] قال الإمام الشافعي - رحمه اللَّه -: كل ما حكم به رسول اللَّه ﷺ فهو مما فهمه من القرآن.[2] وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

روى أبو داود عن المقدام بن معدي كرب[3] عن رسول اللَّه ﷺ أنه

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٢ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٢.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٢.

(٣) هو المِقْدامُ بن مَعْدي كرب بن عمرو بن يزيد، صاحب رسول اللَّه ﷺ روى عدة أحاديث ، توفي بحمص سنة (٨٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣/ ٤٢٧ -=

قال: ألا إني أُتيت القرآن ومثله معه.[١] قال ابن كثير: يعني السنة، فالسنة تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن.[٢]

قال الخطابي: قوله (ومثله معه) يحتمل وجهين:

أحدهما: أن معناه أنه أُوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أُعطي من الظاهر المتلو.

والثاني: أنه أُوتي الكتاب وحياً يُتلى، وأُعطي من البيان مثله، أي أذن له أن يبين ما في الكتاب فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرع ما في الكتاب فيكون في وجوب العمل به، ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن.[٣]

فإن لم يجد في السنة رجع إلى أقوال الصحابة، وفمهمهم لكتاب اللَّه، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلن الصحيح، والعمل الصالح.

قال رسول اللَّه ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: بم تحكم؟ قال: بكتاب

=والبداية والنهاية لابن كثير: ٩/ ٧٣.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة: ٤/ ٢٠٠ - وأحمد في المسند: ٤/ ١٣١ - وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد: ١/ ١٥٠.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٣.

(٣) انظر: معالم السنن للخطابي بهامش سنن أبي داود: ٥/ ١٠ط دار الحديث، تحقيق الدعاس والسيد - وتفسير القرطبي: ١/ ٣٨.

اللَّه. قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول اللَّه. قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد برأيي. قال الراوي: فضرب رسول اللَّه ﷺ في صدره وقال: الحمد للّه الذي وفق رسولَ رسولِ اللَّه لما يرضي رسول اللَّه.(١)

وقد يذكر الصحابة بعض الحكايات التي ينقلونها عن أهل الكتاب، وقد أباح رسول اللَّه ﷺ ذلك حيث قال: بلغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.(٢)

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٣ - ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٩٤ وقال: وهذا الحديث في المسانيد والسنن بإسناد جيد. وأخرجه: الترمذي في سننه، كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في القاضي كيف يقضي: ٣/ ٦١٦ وقال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل. - وأبو داود في سننه، كتاب: الأقضية، باب: اجتهاد الرأي في القضاء: ٣/ ٣٠٣ - وأحمد في المسند: ٥/ ٢٣٠ - قال ابن حزم في كتابه الإحكام في أصول الأحكام: ٧٧٣ ط٢ مطبعة الإمام بالقاهرة: وأما خبر معاذ فإنه لا يحل الاحتجاج به لسقوطه، وذلك أنه لم يرو قط إلا من طريق الحارث بن عمرو، وهو مجهول لا يدري أحد من هو.

قال الأستاذ عدنان زرزور في تحقيقه لمقدمة أصول التفسير لابن تيمية: ٩٥: القضية التي ساق لها ابن تيمية هذا الحديث وهي طلب تفسير القرآن من السنة إن لم يوجد في القرآن نفسه، ليست موضع خلاف بإطلاق؛ صح هذا الأثر أم لم يصح، وإن كان حكم ابن تيمية على إسناده بأنه جيد يحتاج تجاوزه إلى مزيد بحث.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل: ٤/ ١٤٥ - وأحمد في المسند: ٣/ ١٥٩ و٢٠٢ - والترمذي في سننه، كتاب: العلم، باب: ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل: ٥/ ٤٠ وقال: حسن صحيح - وأورده ابن تيمية في=

وهي إنما تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد، وهي ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه فذاك مردود.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني.

فإن لم يجد بغيته في أقوال الصحابة، رجع - على رأي غالب أهل العلم - إلى أقوال أئمة التابعين مثل مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن البصري وغيرهم، فإنهم كانوا بارعين في التفسير، تتلمذوا على أئمة العلم من الصحابة، يقول مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحة الكتاب إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها[1].

وتفسير التابعين يُعتمد ويكون حجة إذا أجمعوا على الشيء، فإن اختلفوا فلا يكون بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع

مقدمته: ٩٨ - وابن كثير في تفسيره: ١/ ١٤ وغيرهم. انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي: ٤/ ٢٨٦.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٩٠ - وأورده ابن تيمية، انظر: مقدمة في أصول التفسير: ١٠٢ - وابن كثير في تفسيره: ١/ ١٥.

إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك.[١]

ثانياً: التفسير بالرأي (الدراية):

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقال جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾--﴿قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧ - ٢٨].

في هذه الآيات وغيرها من آيات الذكر الحكيم حث اللَّه تعالى العلماء على تدبر آياته واستنباط معاني كلامه، وبيَّن أنهم مكلفون بتأويل ما لم يحجب عنهم تأويله، وهو الأمر الذي فهمه أكثر أهل العلم من ظاهر الآيات، وسياق الأحاديث والآثار، وشاهدوه من فعل السلف.

غير أن هناك نصوصاً أخرى تفيد أن ثلة من السلف أمسك عن القول في القرآن، وتحرَّج من الخوض فيه، حيطة وتورعاً كان ذلك أم إحجاماً وتمنعاً للخشية، مستدلِّين بظاهر بعض الأحاديث التي تحذر الإقدام على القول في القرآن بالرأي.

وبهذا يتبين أن السلف أمام التفسير بالرأي فريقان:

---

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٣ - ١٠٥ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٤-١٥.

فريق يرى التفسير بالرأي ويجوزه، وآخرين يرى الوقوف عند المنقول والمأثور، ولكل فريق وجهته وأدلته:

أولاً: المانعون من التفسير بالرأي وأدلتهم:

يقول الواحدي - رحمه اللَّه تعالى -: من شرف هذا العلم - أي علم التفسير - وعزته في نفسه أنه لا يجوز القول فيه العقل والتدبر، والرأي والتفكر، دون السماع والأخذ عمن شاهدوا التنزيل بالرواية والنقل، والنبي ﷺ فمن بعده من الصحابة والتابعين قد شددوا في هذا حتى جعلوا المصيب فيه برأيه مخطئاً.(١)

وأفاد ابن تيمية وابن كثير لزوم الوقوف عند المأثور، وصرحا بتحريم التفسير بمجرد الرأي.(٢)

وفصَّل البغوي، فأجاز التأويل الذي هو صرف الآية إلى معنى محتمل موافق لما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، ومنع التفسير إلا بالسماع بعد ثبوته من طرق النقل، وقصد بالتفسير الكلام

---

(١) انظر: تفسير الواحدي: ١/ ٤٧ ويشير بذلك إلى الحديث الذي رواه بسنده عن جندب وسيأتي بعد قليل.

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٥ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٥.

في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها.[١]

ومن أدلة المانعين:

- قوله تعالى ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].[٢]

وما رواه عبد الرزاق، وابن جرير والبغوي بسندهم عن ابن عباس - رضي اللَّه عنه - عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار.[٣]

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ١/ ٤٥.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٣.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٥٩ - وابن جرير: ١/ ٧٧ - والسمرقندي: ١/ ٢٠٨ - والواحدي: ١/ ٤٧ - والبغوي: ١/ ٤٥ - وأورده القرطبي في تفسيره: ١/ ٣٢ - والخازن: ١/ ٦ - وابن كثير: ١/ ١٥ - وأخرجه البيهقي في الشعب: (ح٣٠٣- ٢/ ٥٥٢).

وفي سند الرواية عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، تكلموا فيه، فقال أحمد وأبو زرعة: ضعيف الحديث. وقال ابن عدي: يحدث بأشياء لا يتابع عليها، وقد حدَّث عنه الثقات، وحسن له الترمذي. وصحح له الحاكم وهو من تساهله. تهذيب التهذيب: ٦/ ٩٤ - قال ابن كثير: أخرجه الترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري، ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي عوانة، عن عبد الأعلى به، وقال الترمذي: حديث حسن. وهو في الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٥/ ١٩٩- وفي الفتح الكبير للسيوطي: ٣/ ٢١٩ - والجامع الصغير للسيوطي: ٢/ ١٧٧، وضعفه=

وما رواه ابن جرير والبغوي بسندهما أيضاً عن ابن عباس وأورده ابن كثير، بلفظ: من قال في القرآن برأيه - أو بما لا يعلم - فليتبوأ مقعده من النار.(١)

وما رواه ابن جرير والواحدي والبغوي بسندهما عن جندب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ.(٢) وفي رواية زاد رزين: ومن قال برأيه فأخطأ فقد كفر.(٣) يقول ابن جرير: يعني أنه أخطأ في فعله حين قال برأيه، لأن قوله ليس بقول عالم إن الذي قال فيه

=الألباني كما في ضعيف الجامع الصغير: ٥/ ٢٢٨.

(١) التخريج السابق

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٧٩ - والواحدي: ١/ ٤٧ - والبغوي: ١/ ٤٥ وقال: غريب - وأورده الماوردي: ١/ ٣٣ - والخازن: ١/ ٦ وأبو حيان: ١/ ٢٥ - وقال ابن كثير ١/ ١٦: وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي حزم القطعي، وقال الترمذي: غريب وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل. وانظر تهذيب الكمال للمزي: ١٢/ ٢١٧ - وهو في الترمذي، كتاب: التفسير، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٥/ ٢٠٠ - وفي سنن أبي داود، كتاب: العلم، باب: الكلام في كتاب اللَّه: ٣/ ٣٢٠ - وفي شرح السنة للبغوي: ١/ ٢٥٩ - وفي فضائل القرآن للنسائي: ١١٤- وأورده السيوطي في الجامع الصغير للسيوطي: ٢/ ١١٧ وحسنه، قال المناوي في الفيض: ٦/ ١٩٠: رمز المؤلف لحسنه ولعله لاعتضاده، وإلا ففيه سهيل بن عبد اللَّه تكلم فيه أحمد والبخاري والنسائي وغيرهم. -

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٢ - والبرهان للزركشي: ٢/ ١٦٤.

قول حق وصواب، فهو بالتالي قائل على اللَّه ما لا يعلم، آثم بفعله ما قد نُهي عنه، وحُظر عليه.(١)

وقال ابن تيمية: لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به؛ فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر، لكن يكون أخف جرماً ممن أخطأ.(٢)

وروى ابن جرير وأبو عبيد والسمرقندي والبغوي بسندهم عن أبي بكر الصديق - رضي اللَّه عنه - أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقال: لا أدري ما الأب! فقيل له: قل من ذات نفسك يا خليفة رسول اللّه. فقال: أيُّ أرض تُقِلُّني، وأيُّ سماءٍ تُظلُّني إذا قلت في القرآن بما لا أعلم. وفي رواية: إذا قلت: في القرآن برأي أو بما لا أعلم.(٣)

---

(١) تفسير الطبري: ١/ ٧٩.

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٨ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٦.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسير: ١/ ٧٨ - والسمرقندي: ١/ ٢٠٨ - والبغوي: ١/ ٤٥ - وأورده الخازن: ١/ ٦ - وابن تيمية في مقدمته: ١٠٨ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٦ و٣/ ٤٧٣ وعزياه لأبي عبيد وقالا: منقطع - وهو في فضائل القرآن لأبي عبيد: ٢٢٧ط غاوجي - وأخرجه البيهقي في الشعب (ح٣٠٦ - ٢/ ٥٥٦) - وابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/ ٥١٢ - وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ٥٢ - أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٣١٧ وعزاه لأبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد. وللحديث طرق كثيرة.

وأخرج أبو عبيد عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقال: هذه الفاكهة فقد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر.(١)

وروى ابن جرير عن عبد اللَّه بن عمر - رضي اللَّه عنه - قال: لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليغلظون القول في التفسير، منهم سالم بن عبد اللَّه، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع.(٢)

وعن يحيى بن سعيد قال: سمعت رجلاً يسأل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال: لا أقول في القرآن شيئاً(٣).

وعن يزيد بن أبي يزيد قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن: ٢٢٧ط غاوجي - والحاكم في المستدرك: ٢/ ٥١٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه - والبيهقي في الشعب: (ح٣٠٨ - ٢/ ٥٥٩) وانظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٩ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٦.

(٢)انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٨٥ - ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٢ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٧ - وهو في فضائل أبي عبيد: ٢٢٨ط غاوجي.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٨٥ - ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٢ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٧ - وهو في فضائل أبي عبيد: ٢٢٨ط غاوجي.

لم يسمع.[١]

وعن عمرو بن مرة[٢] سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن، فقال: لا تسألني عن القرآن وسَل من يزعم أنه لا يخفى عليه شيء منه - يعني عكرمة -.[٣]

وأخرج البغوي عن أبي الدرداء - رضي اللَّه عنه -: لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة، قال حماد: قلت لأيوب: ما معنى قول أبي الدرداء - رضي اللَّه عنه - فجعل يتفكر فقلت: هو أن ترى له وجوهاً فتهاب الإقدام عليها. فقال: هو ذاك، هو ذاك.[٤]

وعن هشام بن عروة قال: ما سمعت أبي تأوَّل آية من كتاب اللَّه قط.[٥]

---

(١) (٣) تفسير ابن جرير ١/ ٨٦ - ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٢ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٧.

(٢) هو عمرو بن مُرة بن عبد اللَّه بن طارق المرادي، إمام حافظ، زكاه الإمام أحمد بن حنبل، ووثقه الأئمة، توفي (١١٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ١٩٦ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٨/ ١٠٢.

(٤) تفسير البغوي: ١/ ٤٥.

(٥) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٣ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٧ - وفضائل القرآن لأبي عبيد: ٢٢٨ - ٢٢٩ط غاوجي. وحلية الأولياء لأبي نعيم: ٤/ ٢٢٢.

وأخرج أبو عبيد عن مغيرة عن إبراهيم قال: كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه[١].

وأخرج عن مسروق قال: اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن اللَّه[١].

وغير ذلك من الأدلة التي ليس هذا موضع بسطها.

أولاً: المجيزون للتفسير بالرأي وأدلتهم:

ويرى المجيزون للتفسير بالرأي - وهم أكثر أهل العلم - أن اللَّه سبحانه قد حثَّ عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبينات، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُو الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧ - ٢٨] وما أشبه ذلك من الآيات التي أمر اللَّه عباده فيها بالاتعاظ بمواعظه، والاعتبار بأمثاله والتفكر في نظمه ومعانيه، مما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله، لكونه لا يجوز أن يقال لهم اعتبر بها وهم لا يعلمون معانيها.

وألزم المجيزون من يقدم على تفسير كلام اللَّه أن يأخذ بالأسباب، ويتعلم وجوه اللغة التي بها نزل القرآن، وأن يقف على أحوال التنزيل،

---

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٣ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٧ - وفضائل القرآن لأبي عبيد: ٢٢٨ - ٢٢٩ط غاوجي. وحلية الأولياء لأبي نعيم: ٤/ ٢٢٢.

وينظر في أقوال العلماء المتقدمين، وغير ذلك من العلوم التي تعين على فهم النص القرآني فهماً صحيحاً.

واستدل المجيزون بأدلة عديدة منها:

١- ظاهر الآيات التي حث اللَّه تعالى فيها عباده من أهل العلم على الاعتبار بالآيات، مثل قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقوله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧ - ٢٨].

٢- بعض الآثار التي وردت عن السلف تبين وتوضح أنهم قالوا في القرآن بالرأي:

يقول ابن عطية: كان جُلَّة من السلف كسعيد بن المسيب، وعامر الشعبي، وغيرهما، يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم مع إدراكهم وتقدمهم، وكان جلَّة من السلف كثير عددهم يفسرونه - القرآن - وهم أبقوا[1] على المسلمين في ذلك.[2] ومن هذه الآثار:

---

(١) تقول: أبقى عليه: أي أشفق عليه ورحمه.

(٢) تفسير ابن عطية: ١/ ٢٨.

ما رواه ابن جرير عن مسروق[١] قال: كان عبد اللّه يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامَّة النهار.[٢]

وما رواه عن شقيق بن سلمة[٣] قال: استعمل علي ابن عباس على الحج، قال: فخطب الناس خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا ثم قرأ عليهم سورة النور فجعل يفسرها.[٤]

وعنه قال: قرأ ابن عباس سورة البقرة فجعل يفسرها فقال رجل: لو سمعت هذا الديلم لأسلمت.[٥]

وعن سعيد بن جبير قال: من قرأ القرآن ثم لم يفسره كان كالأعمى أو

---

(١) هو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني، تابعي قدم المدينة بعد وفاة النبي ﷺ، كان قاضياً فقيهاً ثقة، توفي بالكوفة (٦٢هـ) انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٣/ ٤٩٢- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٦٣.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٨١.

(٣) هو شقيق بن سَلَمَة الأسدي، شيخ الكوفة، أدرك النبي ﷺ ولم يره، وحدَّث عن الصحابة، ثقة كثير الحديث، توفي (٨٢هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي: ١٢/ ٥٤٨ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ١٦١.

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٨١ - وقد ذكرهما الحافظ ابن حجر في الإصابة: ٤/ ٩٣.

(٥) المراجع السابقة.

كالأعرابي.[١]

كما تكلم عدد من التابعين في التفسير كالحسن البصري والضحاك بن مزاحم والسدي وغيرهم، ثم تتابع الناس وألفوا في التفسير التآليف، خاصة حين فسد اللسان، وكثرت العجمة بدخول الناس في الدين، واحتاج الناس إلى فهم النص القرآني، وإلى البيان والتوضيح، وشرح الألفاظه والمفردات.

٣- أن الرسول ﷺ وصحابته لم يفسروا القرآن كله، بل الثابت أن الرسول ﷺ لم يفسر من القرآن إلا اليسير، أخرج ابن جرير وغيره عن عائشة - رضي اللّه عنها - قالت: ما كان رسول اللّه ﷺ يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد علمهن إياه جبريل.[٢] وقد سئل علي بن أبي طالب - كرم اللّه وجهه -: هل خصكم رسول اللّه ﷺ بشيء؟ فقال: ما عندناغير هذه الصحيفة، أو فهم يؤتاه الرجل في كتابه.[٣] فكيف يفهم ما لم يرد فيه نص.

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٨٠.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٨٤ وقال في: ٨٩: الخبر معلول في إسناده، وفيه جعفر بن محمد الزبيري، وهو غير معروف عند أهل الأثر. وقال ابن كثير ١/ ١٨: حديث منكر. وأخرجه أبو يعلى في مسنده: ٨/ ٢٣ - وأورده الهيثمي في المجمع: ٦/ ٣٠٣.

(٣) أورده أبو حيان في تفسيره: ١/ ١٣ - والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم: ١/ ٣٦.

٤- الاختلاف والتباين في التفسير المنقول عن كثير من الصحابة والتابعين للآية الواحدة، فالناظر فيها يرى أقوالاً كثيرة متباينة الأوصاف، بل قد تكون متعارضة، وذلك دليل على أنهم كانوا يقولون في القرآن بالرأي، وكتب التفسير تزخر بكَمٍّ من تلك الأقوال، وإن كان بعض الأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية يرى أن التباين هو تباين في الألفاظ وليس اختلافاً في المعاني.[١] ويرى غيره من أهل العلم أن التفسير متفق عليه ومختلف فيه، وهو - أي المختلف - ثلاثة أنواع:

الأول: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعاني، وهذا الذي عناه ابن تيمية.

الثاني: اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد.

الثالث: اختلاف في المعنى. وهو الذي عنيناه هنا.[٢]

يقول القرطبي: إن الصحابة قد قرأوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي ﷺ، فإن النبي دعا لابن عباس وقال: اللّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.[٣] فإن كان التأويل مسموعاً

---

(١) انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٤ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٥.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١١.

(٣) انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٩٦ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٣ - وأورده الهيثمي في المجمع: ٩/ ٢٧٦ وقال: هو في الصحيح غير قوله: وعلمه التأويل. ورواه=

كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك.[١]

٥- أن منع التفسير بالرأي يفضي - كما يقول أبو حيان - إلى أنَّ ما استخرجه الناس بعد التابعين من علوم التفسير ومعانيه ودقائقه، وإظهار ما احتوى عليه من علم الفصاحة والبيان والإعجاز لا يكون تفسيراً حتى يُنقَلَ بالسند إلى مجاهد ونحوه، قال: وهذا كلام ساقط.[٢]

وقد وجه المجيزون الصحيح من أدلة المانعين، كما ردوا بعضها، فقالوا:

إن الآيات والأخبار التي أوردوها والتي يفيد ظاهرها المنع إنما هي من الوجه الذي لا يُعلم إلا بنص بيان رسول اللَّه ﷺ، أو نصبه الدلالة عليه[٣].

وعن الآثار التي تفيد تحرج بعض السلف من تفسير القرآن، يبين ابن

=أحمد والطبراني بأسانيد. وهو عند البزار والطبراني: اللّهم علمه تأويل القرآن. ولأحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح.

وهو عند البخاري، كتاب: الوضوء، باب: وضع الماء عند الخلاء: ١/ ٤٥ - وفي صحيح مسلم بلفظ: اللّهم فقهه. كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد اللّه بن عباس: ٤/ ١٩٢٧ - وفي مسند الإمام أحمد: ١/ ٢٦٦ و٣١٤.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٣.

(٢) انظر: تفسير أبي حيان: ١/ ١٤.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٧٤.

الأنباري أنهم إنما كانوا يتورعون عن تفسير المشكل من القرآن، فبعضهم يقدر أن الذي يفسره لا يوافق مراد اللَّه عزَّ وجلَّ فيُحجِمُ عن القول، وبعضهم يُشْفِقُ من أن يجعل في التفسير إماماً يبنى على مذهبه، ويقتضى طريقه، فلعلَّ متأخراً أن يفسر حرفاً برأيه ويخطئ فيه ويقول: إمامي في التفسير بالرأي فلان، الإمام من السلف.(١)

ويَحمل ابن تيمية هذا التحرج عن الكلام فيما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه. قال: وهذا هو الواجب على كل أحد؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].(٢)

وقالوا: في حديث جندب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من قال: في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»: في سنده سهيل بن أبي حزم القُطعي، تكلم بعض أهل العلم فيه، وقال الترمذي: حديث غريب.(٣)، وعلى فرض صحته يقول ابن الأنباري: إن أهل العلم حملوه على أن الرأي معنيٌّ به الهوى، أي من قال في القرآن قولاً يوافق هواه، لم يأخذه عن أئمة السلف

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٤.

(٢) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٤ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٨.

(٣) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٦ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٦.

فأصاب فقد أخطأ، لحكْمِه على القرآن بما لا يعرف أصله، ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه.[1]، كمن يحتج ببعض الآيات على تصحيح بدعته، وهو يعلم أن ليس المراد بالآية ذلك، أو كمن يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أُريد به، مثل الذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي بقوله: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٤٢].

قال الماوردي: تمسك فيه - في الحديث - بعض المتورعة واستعمل الحديث على ظاهره، وامتنع أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده عند وضوح شواهده، إلا أن يرد بها نقل صحيح، ويدل عليها نص صريح، فقال: هذا عدول عما تعبد اللَّه تعالى به خلقه في خطابهم بلسان عربي مبين، حيث جعل لهم سبيلاً إلى استنباط أحكامه، قال تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] قال: لو كان ما قالوه صحيحاً لكان كلام اللَّه تعالى غير مفهوم، ومراده بخطابه غير معلوم.، وتأوَّل الأثر على فرض صحته على أن من حمل القرآن على رأيه ولم يعمل على شواهد ألفاظه فأصاب الحق فقد أخطأ الدليل.[2]

ومعنى الحديث عند ابن عطية أن يُسألَ الرجل عن معنًى في كتاب اللَّه فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قاله العلماء، واقتضته قوانين العلوم

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٢.

(٢) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٣.

كالنحو والأصول، وليس يدخل فيه أن يفسر اللغويون لغته، والنحاة نحوه، والفقهاء معانيه، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر.(١)

وعن قوله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»: قال ابن الأنباري: فسر هذا الحديث تفسيرين:

أحدهما: من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو معرض لسخط اللَّه.

والجواب الآخر - وهو أثبت القولين وأصحهما معنى -: من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار.(٢)

قال ابن جزي: تأويله فيمن تكلم في القرآن بغير علم ولا أدوات، لا فيمن تكلم فيما تقتضيه أدوات العلوم ونظر في أقوال العلماء المتقدمين فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه.(٣)

وهكذا يظهر لنا أن اللَّه تعالى قد جعل إلى العلماء بعد رسول اللَّه ﷺ استنباط ما نبه على معانيه، وأشار إلى أصوله، ليتوصلوا بالاجتهاد فيه إلى علم المراد، فيمتازوا بذلك عن غيرهم، ويختصوا بثواب اجتهادهم، قال

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٢٨.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٢.

(٣) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١٦.

تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] فصار الكتاب أصلاً، والسنة له بياناً، واستنباط العلماء له إيضاحاً وتبياناً.(١)

المسألة الثالثة: أنواع التفسير:

لم يتطرق المفسرون لأنواع التفسير في مقدماتهم عدا ابن عطية وابن جزي وأبي حيان، فقد ذكروا شيئاً عن تفاسير الباطنية بإيجاز، فنبه ابن عطية إلى انحراف هذا الاتجاه، وأفاد أنه جعل تفسيره سالماً من إلحاد أهل القول بالرموز، وأهل القول بالباطن، ونبه القارئ إلى ما يكون قد وقع فيه، من نقله لأقوال بعض العلماء الذين حازوا حسن الظن عنده، ويكونوا قد اعتمدوا آراء من هذا النوع.(٢)

وذكر ابن جزي أن المتصوفة تكلمت في تفسير القرآن، فكان منهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته - كما قال - إلى دقائق المعاني، ووقف على حقيقة المراد(٣) ومنهم من توغل في الباطنية وحمل القرآن على ما لا

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٢.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ١٠.

(٣) قلت: حقيقة مراد الله لا يجزم به، وأهل العلم والمفسرون منهم يسعون للوقوف على مراد الله ولا يجزمون بأن ما توصلوا إليه هو عين مراد الله، فلا يسلم لابن جزي مقولته، والله أعلم.

وقد اختلف العلماء في قبول تفسير الصوفية، وهو التفسير الإشاري، فمنهم من قبله،=

تقتضيه اللغة العربية، كما فعل عبد الرحمن السلمي الذي جمع تفسيراً سماه (الحقائق)، وقال فيه بعض العلماء: بل هي بواطل. قال ابن جزي: فإذا انتصفنا قلنا: فيه حقائق وبواطل.[١] كما أشار أبو حيان إلى هذا اللون المنحرف، وصرح بأنه لا يلتفت إلى مثل هذه الطائفة، لكونهم يخرجون الألفاظ عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى.[٢]

=ومنهم من رده، وآخرون توسطوا، فقبلوه بشروط، ومن هؤلاء ابن جزي كما يظهر من قوله. وقد وضع العلماء شروطاً عديدة لقبول هذا اللون من التفسير تتلخص في شرطين:

الأول: أن يصح على مقتضى الظاهر في لسان العرب، ويكون على أساليب كلامهم.

الثاني: أن يكون له شاهد، نصاً أو ظاهراً في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض.

انظر: الموافقات للشاطبي: ٣/ ٣٩٤ - والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم: ٥٠ - ومناهل العرفان للأستاذ الزرقاني: ٢/ ٨١ - وابن جزي ومنهجه في التفسير لعلي الزبيري: ٢/ ٦٠٢.

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١٣.

(٢) انظر: تفسير أبي حيان: ١/ ١٣.

وقد بحث هذا الموضوع السيوطي في الإتقان: ٤/ ١٨٠ - وابن عقيلة في الزيادة والإحسان: ٣/ ٩٥٤ تحقيق الشيخ / مصلح السامدي.